مختارات من روائع الشوقيات

للمدارس

شعر: أحمد شوقي

الكتاب: مختارات من روائع الشوقيات

الشاعر: أحمد شوقي

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

شوقي ، أحمد
مختارات من روائع الشوقيات / الشاعر: أحمد شوقي
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٤٨ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى: ٥ – ٩٩٥ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٩٧١٤ / ٢٠١٩

مختارات من روائع
الشوقيات



مقدمة

كان الشعر في مصر قبل أمير الشعراء أحمد شوقي يجري على الأسلوب القديم، فقد رفع الشاعر محمود سامي البارودي لغته، وأحكم نسجه وتأليفه، فكان بريئاً من التكلف، ولكنه لم يبعد به عن التقليد في التعبير والتفكير، شأنه شأن غيره من رجال القرن التاسع عشر ؛ فكان لشوقي فيه فضل المبتكر المجدد على قدر ما أتيح له الابتكار والتجديد، وكان له مذهب في تعابيره وصوره وأغراضه انتقالاته ترسّمه فيها غير واحد من الشعراء الذين عاصروه، فكانوا له أتباعاً ولم يدركوه.

ولد شاعرنا في مصر (١٦ أكتوبر ١٨٦٨م) ومقاليد الأحكام بيد الخديوي إسماعيل، وكانت عوامل النهضة بعد مُحَّد علي قد تقاعست، ولقيت جفوة من الأميرين عباس وسعيد، فتدارك الأمر، ونشر العلم، وفتح المدارس المختلفة ونظَّمها تنظيماً حسناً، واستقدم لها أمهر الأساتذة ، وجعل اللغة العربية أساساً للتعليم، فرفع مستواها، وجدد إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، وبسط كفه للأدباء والشعراء والمفكرين ، وحثهم على العمل، فألَّفوا وترجموا ونشروا الكتب القديمة. وفي عهده هاجر إلى مصر جمهرة من الأدباء اللبنانيين، فرأوا مجالاً رحباً لأقلامهم وذكائهم، فشغلوا الدواوين وأثاروا تيَّاراً أدبياً بما أنشأوا من الجرائد والمجلات وبما نقلوا

وصنّفوا من الكتب، وكذلك الأجانب الغربيي، هبطوا وادي النيل وفتحوا المدارس الخاصة، فضلاً عن المدارس الأميرية.

نشأ شوقي وترعرع في هذا الجو من النهضة الفكرية والتعليمية وشهد الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي وهو في الرابعة عشرة من عمره، ورافق ما مر بمصر بعدها من الأحداث السياسية والاجتماعية، والثورات الوطنية، فجاء شعره ناطقاً بلسان عصره مصطبغاً بشتى ألوانه.

ولم يكن له بالعرب من صلة في النسب، فأبوه علي بك ابن أحمد شوقي بك كردي الأصل، وأمه تركية، وجدته لأبيه شركسية، وجدته لأمه يونانية، والبيئة المصرية يومئذ عربية تركية، وإنما هو عربي اللسان والبيان. وكان أبوه مسرفاً مبذراً أتلف ماله، فتعهدته جدته اليونانية بالرعاية والتربية وهو في المهد، وكانت من وصيفات دار الإمارة، فأدخلته القصر، ودب طفلاً بباب الخديوي إسماعيل. وما بلغ الرابعة من عمره حتى أدخل المدرسة، فثابر على التحصيل، حتى أنهى دروسه، ثم التحق بمدرسة الحقوق مدة سنتين، ثم التحق بقسم الترجمة سنتين أخريين، ونال الإجازة، فبعثه الخديوي توفيق إلى فرنسا ليدرس الحقوق والأدب، فسافر سنة ١٨٨٧ فتلقى علومه العالية في مونبلييه وباريس، وشيطان الشعر يومئذ يطوف به ويستهويه، فخطر له أن يحاول الفن التمثيلي، فنظم قصة علي بك الكبير باكورة مآسيه، وبعث بها إلى أميره توفيق، فلقي منه الثناء والتشجيع. ولبث في باريس إلى سنة ١٨٩١، فعاد إلى القطر المصري بعد أن قام برحلات زار بها انجلترا وجنوبي فرنسا والجزائر.

وانتقلت إمارة مصر سنة ١٨٩٢ إلى عباس الثاني بعد موت أبيه، فتعهد برعاية" شوقي" كما كان يتعهده والده. فلقي الحظوة عنده وقد استوثقت شاعريته أو كادت، فانتدبه سنة ١٨٩٤ إلى مؤتمر المستشرقين في جنيف، وهو في السادسة والعشرين من سنه، فألقى فيه قصيدته الطويلة "كبار الحوادث في وادي النيل" وهي من أبدع قصائده ألمّ فيها بتاريخ ديانات المصريين القدماء، والأديان الثلاثة التي جاء بها موسى والمسيح ومحمّد.

ويبدو أن شوقي كان ينزع في أول عهده إلى الإغراض الجديدة، فقد رأيناه في فرنسا يطرق باب الشعر التمثيلي، ونراه الآن في سويسرا يروض القصص التاريخي وأساطير القرون، ثم نجده في مصر يتوفر على الشعر التعليمي للأطفال من أناشيد وطنية و مدرسية، ومن أساطير على لسان الحيوان متشبهاً بلافونتين. ويستنكر المدح ويأسف أن يُتخذ الشعر حرفة للتكسب. وقد أعرب عن هذا الرأي في مقدمة ديوانه الأول، ونعى على الشعراء الذين يضيعون شعرهم بالمديح، ولكنه اعترف بأنه ينتهي عن خلق ويأتي مثله، واعتذر بقوله أنه قرع أبواب الشعر، ولم يجد أمامه إلا دواوين لا مظهر للشعر فيها، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء. والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عالٍ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسمى، فما زال يتمنى هذه المنزلة حتى بلغها، فجعلهاالخديوي عباس شاعره الخاص ورئيسا للقسم الفرنجي في حاشيته، فانصرف إلى المدح الذي يمقته ويجد به غضاضة على الشعر وأهله، وأصابه ما أصاب شعراء العرب من قبل: حُظوة عند الأمراء، ورزق

واسع، وشاعرية مقيدة بالمديح وما يشبه المديح. وأعرض عن الأغراض الطليقة التي حمل نفسه عليها في أول أمره وقنع من دنياه بأن يكون:

شاعر العزيز وما

بالقليل ذا اللقبُ

وجميع ما جهز له من الشعر في القرن التاسع عشر فنشره في الديوان القديم من الشوقيات، وهي منظوماته من سنة ١٨٨٨ إلى سنة ١٨٩٨، وفيها الأدب والتاريخ والمدح والرثاء والحكايات والخصوصيات؛ وأكثرها ظاهر التقليد بيِّن الغثاثة.

وتزوج أحمد شوقي وهو في منتصف العقد الثالث فأفاد من زوجته ثروة ضخمة فأصبح من كبار الموسرين، ورزق ثلاثة أولاد صَبِيَّة وصبيين.

وكان له من النفوذ في القصر ما استرعى إليه أنظار ذوي الحاجات فقصدوه يلتمسون وساطته، ومنهم طلاب الرتب والأوسمة، فدرّت عليه منهم هدايا وعطايا، فكان له منها مورد عذب.

وكان الشاعر إذا مدح عباساً يغالي في مدحه، متزلفاً إليه، ويرى أن الدنيا في عهده بخير وسلام، فما يبصر من نافذة عابدين صرعى البؤس، ولا يسمع أنين الشقاء، ولا يلمس جراحات الشعب المسكين، فحسب البلاد أن يطلّ عليها عباس لتشرق ربوعها، وتخصب أرضها وحقولها:

وقيل:

ابن رب النيل! فافترَّت القرى،

وناجى الثرى نعليك يستوهب الخصبا

ويذهب إلى الأستانة فيحظى عند السلطان عبد الحميد، وينزل ضيفاً في قصره، فيضفي عليه السوابغ من مدائحه، ولا يتورع من الإفراط في تمويه الحقيقة، فيجعل عصره خير العصور على الرعية، ويشبهه بعمر بن الخطاب في عدله، لأنه لم يبصر من نافذة يلدز مصرع الدستور، ولا سمع أنين ضحايا البوسفور، ولا لمس جراحات الشعب المقهور:

عمرٌ أنت بيدَ أنك ظلٌّ

للبرايا، وعصمة، وسلام

ما تتوجت بالخلافة حتى

تُوِّج البائسون والأيتام

فقد كان شوقي في حياته الأرستقراطية بعيداً عن الشعب كل البعد، قريباً من ذوي السلطان كل القرب، ينطق بلسان الرعاة ولا ينطق بلسان الرعية، إلا إذا اجتمعت الأمة وأولي أمرها على بعض الشؤون التي يظهر تأثيرها فيهم على السواء، وأكثر ما يكون ذلك عندما تكون البلاد غرضاً لسهام الأجانب في السياسة أو في الحروب، فيتناسى الشعب في مصر أو في الدولة العثمانية بؤسه وجور حكامه، فينضم إليهم ساخطاً معهم على

الأجنبي، متألماً لألمهم، مبتهجاً لانتصارهم. فإذا بكى شوقي أو غنى في مثل هذه الحال، فقد حق له أن يقول:

كان شعري الغناء في فرح الشرق،

وكان العزاء في أحزانه

فقصيدته التي خاطب بها اللورد كرومر سنة ١٩٠٧ على إثر الحفلة التي أقيمت لوداعه في ملعب الأوبرا، تنطق بلسان صاحب العرش ولسان الأمة المصرية:

أيامكم أم عهد إسماعيلا،

أم أنت فرعون يسوس النيلا؟

وكذلك قصيدته "الأندلس الجديدة" التي قالها بعد سقوط أدرنة في أيدي البلغار سنة ١٩١٢، تعد من الشعر السياسي الاجتماعي الذي يعبر عن عاطفة الشعب والحكومة معاً، ولا يقتصر تأثيره على الأتراك وحدهم بل يشمل المسلمين على الإجمال.

على أن الشاعر لم يكن يبتعد في الشؤون الداخلية عن إرادة القصر في السياسة والاجتماع، فإذا عرض لقضية السفور والحجاب جارى المحافظين في رأيهم بحجاب المرأة لأن شاعر الأمير لا يجمل به أن ينادي بالسفور، وصاحب عابدين رأس المستمسكين بالقديم، وقصيدته التي رمز بها إلى المرأة ببلبل جميل يكرم في قفصه، تدلنا على مبلغ انقياده إلى سياسة

القصر، وهو الذي شهد حضارة باريس وتثقف ثقافة غربية راقية، ولكنه شاعر الأمير وأمير الشعراء، كما أخذت تنعته الصحف يوم ذاك.

والسياسة متقلبة مع الزمان والمكان، فلا عجب إذا تقلب شوقي معها، وجاء شعره وفيه صور متناقضة تناقض وجوهها، فما كادت تشترك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى حتى خلعت انجلترا عباس عن العرش المصري، وكان قد لاذ بالأتراك، وأقامت مكانه صنيعتها السلطان حسين كامل، فبادر شوقي إلى مدحه وتهنئته، بعدما هجاه لأنه سمع اللورد كروم يشتم أباه إسماعيل في حفلة الأوبرا ولم ينبس ببنت شفة، ومدح معه الانجليز الذين حافظوا على عرش مصر، وبايعه على الوفاء لأنه لا يخون إسماعيل في أبنائه:

أأخون إسماعيل في أبنائه

ولقد ولدت بباب إسماعيلا؟

على أن هذا التزلف للانجليز والسلطان الجديد لم يفد الشاعر، فقد رأت السلطة البريطانية نفيه عن مصر، فسافر إلى اسبانيا، واتخذ برشلونة له سكناً طوال الحرب، فأوحت إليه الأندلس العربية بآثارها الخالدة طائفة من الشعر الجميل، منها قصيدته التي وصف بها الحمراء، معارضاً سينية البحتري في إيوان كسرى.

وعاد من اسبانيا إلى مصر في أواخر سنة ١٩١٩، وقد تبدلت فيها الحال وتغيرت عما كانت عليه في زمن عباس، فابتعد عن القصر وفي النفس ما فيها من ذكريات الماضي، وتخلى عن اللقب الذي طالما اعتز به:

شاعر العزيز وما

بالقليل ذا اللقبُ

ليحمل لقباً جديداً أقرب إلى القلوب من سابقه وهو شاعر الشعب ، وفي مصر يومئذ نهضة محمودة للإصلاح السياسي والاجتماعي وخلع نير الحماية الأجنبية، فدخل شوقي المعترك ينافح بشعره عن حقوق وطنه، وينادي بالإصلاح المأمول، وينشد الحرية والاستقلال، ويحمل على الانجليز منددا بأعمالهم، مقبحاً تصرفهم في البلاد، يجاري عاطفة الشعب، ويلمس جراحاته بيده، لا ينظر إليه عن بعد، كما كان ينظر إليه وهو في قصر عابدين. وإذا مدح الملك فؤاداً، فإنما يستطرد إلى مدحه في بسط حادث سياسي أو اجتماعي يشغل مصر، فيثني على الملك بعمل حميد أتاه أو يحضه على عمل صالح يريد أن يأتيه، فأصبح مدحه وسيلة لا غاية. وفي هذا العهد ظهرت قصائده الرائعة، منها قصيدته التي خاطب بها اللورد اللنبي عندما ألغيت الحماية البريطانية عن مصر، وقصيدته في آثار توت عنخ آمون، وقصيدته التي ناصر بها المرأة مؤيداً نزوعها إلى الحرية، فنادى برفع حجابها، و نقض ما قاله في قصيدة "صَدَّاح" معتذراً إلى قاسم أمين بعد موته.

ولم يقصر شعره على مصر وحدها، بل بسطه على الأقطار العربية والإسلامية، فكان شاعر الشرق وشاعر الإسلام معًا، يعني بالشؤون التي تخص سوريا ولبنان والعراق، كما يعني بالشؤون التي تخص الجمهورية التركية الفتية، فامتد ظله بعيداً، وحق له أن يقول يومذاك:

كان شعري الغناء في فرح الشرق،

وكانَ العزاء في أحزانه

ومما لا ريب فيه أن السنوات التي تحرر فيها الشاعر من سياسة القصر وتقاليده كانت أخصب أيام حياته، وأشرفها أثراً، وفيها عاد إلى فن التمثيل بعد هجر طويل، فانكب عليه بعزيمة صادقة لم توهنها بوادر الشيخوخة، فأخرج من المسرحيات: مصرع كليوباترا، وعلي بك الكبير بعد أن نظر فيها وأصلحها، ومجنون ليلى، وقمبيز، والسيدة هدى، والبخيلة، وأميرة الأندلس، وعنترة. فأحدث في الشعر التمثيلي تطوراً لا بأس به بالإضافة إلى ما كان عليه هذا الفن من قبل.

ويُعدّ شوقي بحق شاعر عصره يمثله بشتى أحواله في السياسة والاجتماع، وشاعر مصر ونابغتها، وشاعر الشرق والإسلام.

وإذا كان التقليد قد غلب على كثير من شعره، فلا يُجحد جديده في القصائد الطويلة والمسرح الشعري والتمثيل وأساطير الماضين؛ وله من الخيال الخصب، وقوة الوصف والتصوير، ودقة المعاني، وتنوع الأغراض، وحسن اختيار

الألفاظ وتأليفها ما يرفعه إلى أريكة الشعر السامية. وتأثيره البيِّن في جمهرة من الشعراء المعاصرين يخوله شرف الزعامة، ويجعل الإمارة غير مستنكرة عليه.

رحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي الذي وافته المنية في ١٤ أكتوبر عام ١٩٣٢

العلم والتعليم

قبيل افتتاح البرلمان الأول في ١٥ مارس سنة ١٩٢٤

قُــمْ للمعلّــمِ وفِّــهِ التبجــيلا ... كــاد المعلّــمُ أن يكــونَ رســولا
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي ... يبــني ويُنشــئُ أنفسًــا وعقــولا؟
ســبحانك اللهــمَّ، خــيرَ معلّــمٍ ... علَّمــتَ بالقلــم القــرونَ الأولى
أخرجتَ هـذا العقـلَ مـن ظُلماتِـه ... وهديتَــه النــورَ المبــينَ ســبيلا
وطبعتَــه بيــدِ المعلّــم، تارةً ... صَـدِئَ الحديـدِ وتارة مصـقولا(١)
أرســلتَ بالتــوراةِ موسَــى مرشِــدًا ... وابــنَ البتــولِ فعلَّــم الإنجــيلا(٢)
وفَجَــرتَ يَنبــوعَ البيــانِ محمــدًا ... فسقى الحـديثَ وناولَ التنـزيلا(٣)
علَّمــتَ يــونانًا ومصــرَ فزالتــا ... عـن كـلّ شمـسٍ مـا تُريـدُ أُفـولا
واليــومَ أصــبحتا بحــالِ طُفولــةٍ ... في العلــمِ تلتمســانِه تطفــيلا(٤)
من مَشرِقِ الأرضِ الشموسُ تظاهرتْ ... مــا بالُ مغرِبهــا عليــه أُديــلا(٥)
يا أرضُ مُــذْ فقَــد المعلــمُ نفســهَ ... بـين الشـموسِ وبـين شـرقِك حيلا

---

(١) طبع السيف صاغه، وصدئ الحديد أي غير مجلو ولا مصقول.

(٢) البتول لقب السيدة مريم عليها السلام.

(٣) التنزيل القرآن.

(٤) التطفيل التطفل.

(٥) أديل المغرب على المشرق أي فاقه وانتزع منه الدولة.

ذهب الذين حَموا حقيقةَ علمهِم واستعذبوا فيها العذابَ وبيلا
في عالَمٍ صحِبَ الحياةَ مقيَّداً بالفردِ، مخزوماً به، مغلولا(١)
صرعته دنيا المستبدّ كما هوتْ من ضربةِ الشمسِ الرءوسُ ذُهولا
سُقراطُ أعطى الكأسَ وهي منيةٌ شفتي مُحِبٍّ يشتهي التقبيلا
عرضوا الحياةَ عليه وهي غباوةٌ فأبى وآثر أن يموت نبيلا(٢)
إن الشجاعةَ في القلوبِ كثيرةٌ ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا
إن الذي خلق الحقيقةَ علقما لم يُخلِ من أهلِ الحقيقة جيلا
ولربما قتل الغرامُ رجالها قُتِل الغرام، كما استباحَ قتيلا
أو كلُّ من حامى عن الحق اقتنى عند السواد ضغائنًا وذُحولا(٣)
لو كنت أعتقدُ الصليبَ وخَطْبه لأَقمتُ من صَلْبِ المسيحِ دليلا
أمعلمي الوادي وساسةَ نشئه والطابعينَ شبابه المأمولا
والحاملينَ إذا دُعوا ليُعلِّموا عبءَ الأمانةِ فادحًا مسئولا
ونيِتْ خُطا التعليم بعد محمدٍ ومشى الهُوَيْنا بعد إسماعيلا
حتى رأينا مصرَ تخطو إصبَعًا في العلم، إن مشتِ الممالكُ ميلا
تلك الكفورُ وحَشْوُها أميةٌ من عهد "خوفو" لم تر القنديلا
تجدُ الذين بنى "المِسلَّةَ" جدُّهم لا يُحسنونَ لإبرةٍ تشكيلا!

---

(١) مخزومًا به أي مسخرًا له.

(٢) النبل الذكاء.

(٣) الذحول جمع ذحل وهو الثأر.

ويُـــدَلَّلون إذا أُريـــدَ قِيـــادُهم كـالبُهْمِ تأنـسُ إذ تـرى التـدليلا

يتلـو الرِّجـالُ عليهمُـو شـهواتِهم فالنـــاجِحون ألـــذُّهم تـــرتيلا

الجهـــلُ لا تحيـــا عليـــه جماعـــةٌ كيـفَ الحيـاةُ علـى يـدىْ عِـزريلا

رَبُّوا على الإنصافِ فتيانَ الحِمَى تجـدوهمُ كهـفَ الحقـوق كهـولا

فهـو الـذي يبـني الطبـاعَ قويمـةً وهـو الـذي يبـني النفـوسَ عُـدولا

ويُقـيمُ منطِـق كـلِّ أعـوجِ منطـقٍ ويُريـــه رأياً في الأمـــور أصـــيلا

وإذا المعلـمُ لم يكـن عَـدْلاً مشـى روحُ العدالـةِ في الشـبابِ ضـئيلا

وإذا المعلـــمُ ســـاء لحـــظَ بصـــيرةٍ جاءتْ على يده البصائرُ حُولا(١)

وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ومـن الغـرورِ فسـمِّه التضـليلا

وإذا أُصـيبَ القـومُ في أخلاقهـم فـأقِمْ علـيهم مأتمـاً وعـويلا

إنِّي لأعـذُرُكم وأحسـبُ عبـئَكُم مـن بـين أعبـاءِ الرجـال ثقـيلا

وجـدَ المسـاعَد غـيرَكم وحُرمتُمـوه في مصـرَ عـونَ الأمهـاتِ جلـيلا

وإذا النســاءُ نشــأنَ في أُميَّــةٍ رضَـعَ الرجـالُ جهالـةً وخمـولا

لـيس اليتـيمُ مـن انتهـى أبـواهُ مـن هِـمّ الحيـاةِ، وخلَّفـاه ذلـيلا

فأصـابَ بالـدنيا الحكيمـة منهمـا وبحسـن تربيـةِ الزمـان بـديلا

إن اليتـيمَ هـو الـذي تلقـى لـه أمَّـا تخلـتْ، أو أباً مشـغولا(٢)

مصـر إذا مـا راجعـتْ أيامَهـا لم تلـقَ للسَّـبتِ العظـيم مثـيلا(١)

---

(١) الحول جمع حولاء والحولاء من في عينها حول والحول إقبال الحدقة على الأنف وهو عيب.

(٢) أما تخلت عن تربيته وأبا مشغولا عن العناية به وتهذيبه.

(البرلمــانُ) غــداً يُمــدُّ رواقــه ظـلاً عَلَى الـوادي السعيدِ ظليلا
نرجــو إذا التعليمُ حــرَّكَ شَجوَه ألا يكــون عَلَــى الــبلاد بخــيلا
قلْ للشبابِ: اليومَ بُورك غرسُكم دنـتِ القطـوفُ وذُلّلـتْ تـذليلا
حَيُّوا مـن الشـهداءِ كـلَّ مغيَّـبٍ وضـعُوا عَلَـى أحجـارِه إكلـيلا
ليكـونَ حـظ الحـيّ مـن شُـكرانكم جمًّـا وحـظُّ الميْـتِ منـه جـزيلا
لا يلمـسُ الدسـتورُ فـيكم روحَـه حـتى يَـرَى جُنديَّـه المجهـولا(٢)
ناشــدتُكم تلــك الــدماء زكيــة لا تبعَثُــوا للبرلمــان جهــولا
فليســأَلَنَّ عــن الأرائــكِ ســائلٌ أحملــنَ فضــلاً أم حملــنَ فُضُــولا
إن أنــتَ أطلعــتَ الممثّــلَ ناقصًــا لم تلــقَ عنــد كمالــه التمثــيلا
فـادعوا لهـا أهـلَ الأمانـة واجعلـوا لأولي البصــائِرِ منهمــو التفضــيلا
إن المقصّــرِ قـد يحـولُ ولـن تـرى لجهالــةِ الطبــعِ الغــبيّ محــيلا
فلـرُبَّ قـولٍ في الرجـالِ سمعتمـو ثم انقضــى فكأنــه مــا قــيلا
ولكــمْ نصــرتم بالكرامــة والهــوى مـن كـان عنـدكمو هـو المخـذولا
كـرمٌ وصـفحٌ في الشـبابِ وطالمـا كَــرُمَ الشــبابُ شمــائلاً وميــولا
قوموا اجمعوا شُعَب الأُبوةِ وارفعوا صــوتَ الشــباب محبَّــا مقبــولا
أدُّوا إلى العـرش التحيـةَ واجعلـوا للخـــالق التكبـــيرَ والتهلـــيلا

([1]) السبت ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذي افتتح فيه (البرلمان) الأول. وقد كان هذا اليوم قريبًا من يوم الاحتفال.

([2]) يريد بالجندي المجهول من يعمل في غير جلبةٍ و ضوضاء وفي غير انتظار مكافأة أو جزاء.

مـــا أبعـــدَ الغـــاياتِ إِلا إنـــني   أجـدُ الثبـاتَ لكـم بهـنَّ كفـيلا
فكِلــوا إلى اللهِ النجــاحَ وثابــروا   فـــالله خــــيرٌ كـــافلًا ووكـــيلا

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ

وُلِـدَ الهُـدى فَالكائِنـاتُ ضِـياءُ ... وَفَـمُ الزَمـانِ تَبَسُّـمٌ وَثَنـاءُ
الـروحُ وَالمَـلَأُ المَلائِـكُ حَولَـهُ ... لِلـدينِ وَالـدُنيا بِـهِ بُشَـراءُ
وَالعَـرشُ يَزهـو وَالحَظـيرَةُ تَزدَهـي ... وَالمُنتَهـى وَالسِـدرَةُ العَصـماءُ
وَحَديقَـةُ الفُرقـانِ ضـاحِكَةُ الـرُبا ... بِالتُرجُمـانِ شَـذِيَّةٌ غَنّـاءُ
وَالـوَحيُ يَقطُرُ سَلسَـلًا مِن سَلسَـلٍ ... وَاللَـوحُ وَالقَلَـمُ البَـديعُ رُواءُ
نُظِمَت أَسامي الرُسلِ فَهيَ صَحيفَةٌ ... في اللَـوحِ وَاسـمُ مُحَمَّـدٍ طُغَـراءُ
اسـمُ الجَلالَـةِ في بَـديعِ حُروفِـهِ ... أَلِـفٌ هُنالِـكَ وَاسـمُ طَـهَ البـاءُ
يا خَـيرَ مَـن جـاءَ الوُجـودَ تَحِيَّـةً ... مِن مُرسَلينَ إِلى الهُدى بِكَ جاؤوا
بَيـتُ النَبِيّـينَ الَّـذي لا يَلتَقـي ... إِلّا الحَنـائِفُ فيـهِ وَالحُنَفـاءُ
خَـيرُ الأُبُـوَّةِ حـازَهُمْ لَـكَ آدَمٌ ... دونَ الأَنامِ وَأَحـرَزَت حَـوّاءُ
هُـم أَدرَكـوا عِـزَّ النُبُـوَّةِ وَانتَهَـت ... فيهـا إِلَيـكَ العِـزَّةُ القَعسـاءُ
خُلِقَـت لِبَيتِـكَ وَهـوَ مَخلـوقٌ لَهـا ... إِنَّ العَظـائِمَ كُفؤُهـا العُظَمـاءُ
بِـكَ بَشَّـرَ اللَهُ السَـماءَ فَزُيِّنَـت ... وَتَضَـوَّعَت مِسـكًا بِـكَ الغَـبراءُ
وَبَـدا مُحَيّـاكَ الَّـذي قَسَـماتُهُ ... حَـقٌّ وَغُرَّتُـهُ هُـدىً وَحَيـاءُ
وَعَلَيـهِ مِـن نـورِ النُبُـوَّةِ رَونَـقٌ ... وَمِـنَ الخَليـلِ وَهَديِـهِ سـيماءُ
أَثـنى المَسـيحُ عَلَيـهِ خَلـفَ سَمائِـهِ ... وَتَهَلَّلَـت وَاهتَـزَّتِ العَـذراءُ

يَـومٌ يَتيـهُ عَلـى الزَمـانِ صَـباحُهُ وَمَســـاؤُهُ بِمُحَمَّـــدٍ وَضّـــاءُ
الحَـقُّ عـالي الـرُكنِ فيـهِ مُظَفَّـرٌ في المُلـكِ لا يَعلـو عَلَيـهِ لِـواءُ
ذُعِـرَت عُـروشُ الظـالِمينَ فَزُلزِلَـت وَعَلَـت عَلـى تيجـانِهِم أَصـداءُ
وَالنـارُ خاوِيَـةُ الجَوانِـبِ حَـولَهُمْ خَمَـدَت ذَوائِبُهـا وَغـاضَ المـاءُ
وَالآيُ تَـترى وَالخَـوارِقُ جَمَّـةٌ جِبريـلُ رَوّاحٌ بِهـا غَـدّاءُ
نِعـمَ اليَتـيمُ بَـدَت مَخايِـلُ فَضـلِهِ وَاليُـتمُ رِزقٌ بَعضُـهُ وَذَكـاءُ
في المَهـدِ يُستَسـقى الحَيـا بِرَجائِـهِ وَبِقَصـدِهِ تُسـتَدفَعُ البَأسـاءُ
بِسِوى الأَمانَةِ في الصِبا وَالصِدقِ لَم يَعرِفـهُ أَهـلُ الصِـدقِ وَالأُمَنـاءُ
يا مَن لَهُ الأَخلاقُ ما تَهوى العُلا مِنهـا وَمـا يَتَعَشَّـقُ الكُـبَراءُ
لَـو لَم تُقِـم دينًـا لَقامَـت وَحـدَها دينًـا تُضـيءُ بِنـورِهِ الآناءُ
زانَتـكَ في الخُلُـقِ العَظـيمِ شَمائِـلٌ يُغـرى بِهِـنَّ وَيولَـعُ الكُرَمـاءُ
أَمّـا الجَمـالُ فَأَنـتَ شَمـسُ سَمائِـهِ وَمَلاحَـةُ الصِـدّيقِ مِنـكَ أَياءُ
وَالحُسـنُ مِـن كَـرَمِ الوُجـوهِ وَخَـيرُهُ مـا أوتِيَ القُـوّادُ وَالزُعَمـاءُ
فَإِذا سَخَوتَ بَلَغتَ بِالجودِ المَدى وَفَعَلـتَ مـا لا تَفعَـلُ الأَنـواءُ
وَإِذا عَفَـوتَ فَقـادِرًا وَمُقَـدَّرًا لا يَسـتَهينُ بِعَفـوِكَ الجُهَـلاءُ
وَإِذا رَحِمـتَ فَأَنـتَ أُمٌّ أَو أَبٌ هَـذانِ في الـدُنيا هُمـا الرُحَمـاءُ
وَإِذا غَضِـبتَ فَإِنَّمـا هِـيَ غَضـبَةٌ في الحَـقِّ لا ضِـغنٌ وَلا بَغضـاءُ
وَإِذا رَضـيتَ فَـذاكَ في مَرضـاتِهِ وَرِضـا الكَثـيرِ تَحَلُّـمٌ وَرِياءُ

وَإِذا خَطَبْــتَ فَلِلمَنــابِرِ هِــزَّةٌ تَعــرو النَــدِيَّ وَلِلقُلــوبِ بُكــاءُ

وَإِذا قَضَـيتَ فَـلا ارتِيـابَ كَأَنَّمـا جـاءَ الخُصـومَ مِـنَ السَـماءِ قَضـاءُ

وَإِذا حَمَيـتَ المـاءَ لَم يـورَد وَلَـو أَنَّ القَياصِــرَ وَالمُلــوكَ ظِمــاءُ

وَإِذا أَجَـرتَ فَأَنـتَ بَيـتُ اللهِ لَم يَـدخُل عَلَيـهِ المُسـتَجيرَ عَـداءُ

وَإِذا مَلَكـتَ الـنَفسَ قُمـتَ بِبِرِّها وَلَـوَ انَّ مـا مَلَكَـت يَـداكَ الشـاءُ

وَإِذا بَنَيـتَ فَخَـيرُ زَوجٍ عِشـرَةً وَإِذا ابتَنَيــتَ فَــدونَكَ الآباءُ

وَإِذا صَـحِبتَ رَأى الوَفـاءَ مُجَسَّـمًا في بُـردِكَ الأَصـحابُ وَالخُلَطـاءُ

وَإِذا أَخَـذتَ العَهـدَ أَو أَعطَيتَـهُ فَجَميــعُ عَهـدِكَ ذِمَّـةٌ وَوَفـاءُ

وَإِذا مَشَـيتَ إِلى العِـدا فَغَضَـنفَرٌ وَإِذا جَرَيــتَ فَإِنَّــكَ النَكبــاءُ

وَتَمُــدُّ حِلمَــكَ لِلسَــفيهِ مُـدارِيًا حَـتّى يَضـيقَ بِعَرضِـكَ السُـفَهاءُ

في كُـلِّ نَفـسٍ مِـن سُـطاكَ مَهابَـةٌ وَلِكُــلِّ نَفــسٍ في نَـداكَ رَجـاءُ

وَالـرَأيُ لَم يُـنضَ المُهَنَّـدُ دونَـهُ كَالسَــيفِ لَم تَضـرِب بِـهِ الآراءُ

يأَيُّهــا الأُمِــيُّ حَســبُكَ رُتبَــةً في العِلـمِ أَن دانَـت بِـكَ العُلَمـاءُ

الـذِكرُ آيَـةُ رَبِّـكَ الكُـبرى الَّـتي فيهــا لِبــاغي المُعجِـزاتِ غَنـاءُ

صَدرُ البَيـانِ لَـهُ إِذا التَقَـتِ اللُغى وَتَقَــدَّمَ البُلَغــاءُ وَالفُصَــحاءُ

نُسِـخَت بِـهِ التَـوراةُ وَهـيَ وَضـيئَةٌ وَتَخَلَّــفَ الإِنجيــلُ وَهــوَ ذُكــاءُ

لَمّـا تَمَشّـى في الحِجـازِ حَكيمُـهُ فُضَّـت عُكـاظُ بِـهِ وَقـامَ حِـراءُ

أَزرى بِمَنطِــقِ أَهلِــهِ وَبَيـانِهِمْ وَحــيٌ يُقَصِّــرُ دونَــهُ البُلَغــاءُ

حَسَـدوا فَقـالوا شـاعِرٌ أَو سـاحِرٌ وَمِـنَ الحَسـودِ يَكـونُ الاسـتِهزاءُ
قَـد نالَ بِالهـادي الكَـريمِ وَبِالهُـدى مـا لَم تَنَـل مِـن سُـؤدُدٍ سـيناءُ
أَمسـى كَأَنَّـكَ مِـن جَلالِـكَ أُمَّـةٌ وَكَأَنَّـهُ مِـن أُنسِـهِ بَيـداءُ
يـوحى إِلَيـكَ الفَـوزُ في ظُلُماتِـهِ مُتَتابِعًـا تُجلـى بِـهِ الظَلمـاءُ
ديـنٌ يُشَـيَّدُ آيَـةً في آيَـةٍ لَبِناتُـهُ السـوراتُ وَالأَدواءُ
الحَـقُّ فيـهِ هُـوَ الأَسـاسُ وَكَيـفَ لا وَاللهُ جَـلَّ جَلالُـهُ البَنّـاءُ
أَمّـا حَـديثُكَ في العُقـولِ فَمَشـرَعٌ وَالعِلـمُ وَالحِكَـمُ الغَـوالي المـاءُ
هُـوَ صِـبغَةُ الفُرقـانِ نَفحَـةُ قُدسِـهِ وَالسـينُ مِـن سَـوراتِهِ وَالـراءُ
جَـرَتِ الفَصـاحَةُ مِـن يَنـابيعَ النُهـى مِـن دَوحِـهِ وَتَفَجَّـرَ الإِنشـاءُ
في بَحـرِهِ لِلسـابِحينَ بِـهِ عَلـى أَدَبِ الحَيـاةِ وَعِلمِهـا إِرسـاءُ
أَتَـتِ الـدُهورُ عَلـى سُـلافَتِهِ وَلَم تَفـنَ السُـلافُ وَلا سَـلا النُـدَماءُ
بِـكَ يا ابـنَ عَبـدِ اللهِ قامَـت سَمحَـةٌ بِالحَـقِّ مِـن مَلَـلِ الهُـدى غَـرّاءُ
بُنِيَـت عَلـى التَوحيـدِ وَهـيَ حَقيقَـةٌ نادى بِهـا سُـقراطُ وَالقُـدَماءُ
وَجَـدَ الزُعـافَ مِـنَ السُـمومِ لِأَجلِهـا كَالشَـهدِ ثُمَّ تَتـابَعَ الشُـهَداءُ
وَمَشـى عَلـى وَجـهِ الزَمـانِ بِنورِهـا كُهّـانُ وادي النيـلِ وَالعُرَفـاءُ
إيـزيسُ ذاتُ المُلـكِ حيـنَ تَوَحَّـدَت أَخَـذَت قِـوامَ أُمورِهـا الأَشـياءُ
لَمّـا دَعَـوتَ النـاسَ لَـبّى عاقِـلٌ وَأَصَـمَّ مِنـكَ الجـاهِلينَ نِـداءُ
أَبَـوا الخُـروجَ إِلَيـكَ مِـن أَوهـامِهِمْ وَالنـاسُ في أَوهـامِهِمْ سُـجَناءُ

وَمِنَ العُقولِ جَداوِلٌ وَجَلامِدٌ ... وَمِنَ النُفوسِ حَرائِرٌ وَإِماءُ

داءُ الجَماعَةِ مِن أَرِسطاليسَ لَم ... يوصَف لَهُ حَتّى أَتَيتَ دَواءُ

فَرَسَمتَ بَعدَكَ لِلعِبادِ حُكومَةً ... لا سوقَةٌ فيها وَلا أُمَراءُ

اللهُ فَوقَ الخَلقِ فيها وَحدَهُ ... وَالناسُ تَحتَ لِوائِها أَكفاءُ

وَالدينُ يُسرٌ وَالخِلافَةُ بَيعَةٌ ... وَالأَمرُ شورى وَالحُقوقُ قَضاءُ

الإِشتِراكِيّونَ أَنتَ إِمامُهُمْ ... لَولا دَعاوي القَومِ وَالغُلَواءُ

داوَيتَ مُتَّئِدًا وَداوَوا ظَفرَةً ... وَأَخَفُّ مِن بَعضِ الدَواءِ الداءُ

الحَربُ في حَقٍّ لَدَيكَ شَريعَةٌ ... وَمِنَ السُمومِ الناقِعاتِ دَواءُ

وَالبِرُّ عِندَكَ ذِمَّةٌ وَفَريضَةٌ ... لا مِنَّةٌ مَمنونَةٌ وَجَباءُ

جاءَت فَوَحَّدَتِ الزَكاةُ سَبيلَهُ ... حَتّى التَقى الكُرَماءُ وَالبُخَلاءُ

أَنصَفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى ... فَالكُلُّ في حَقِّ الحَياةِ سَواءُ

فَلَوَ انَّ إِنسانًا تَخَيَّرَ مِلَّةً ... ما اختارَ إِلّا دينَكَ الفُقَراءُ

يأَيُّها المُسرى بِهِ شَرَفًا إِلى ... ما لا تَنالُ الشَمسُ وَالجَوزاءُ

يَتَساءَلونَ وَأَنتَ أَطهَرُ هَيكَلٍ ... بِالروحِ أَم بِالهَيكَلِ الإِسراءُ

بِهِما سَمَوتَ مُطَهَّرَينِ كِلاهُما ... نورٌ وَرَيحانِيَّةٌ وَبَهاءُ

فَضلٌ عَلَيكَ لِذي الجَلالِ وَمِنَّةٌ ... وَاللهُ يَفعَلُ ما يَرى وَيَشاءُ

تَغشى الغُيوبَ مِنَ العَوالِمِ كُلَّما ... طُوِيَت سَماءٌ قُلِّدَتكَ سَماءُ

في كُلِّ مِنطَقَةٍ حَواشي نورُها ... نونٌ وَأَنتَ النُقطَةُ الزَهراءُ

أَنتَ الجَمالُ بِها وَأَنتَ المُجتَلى وَالكَفُّ وَالمِرآةُ وَالحَسناءُ
اللهُ هَيَّأَ مِن حَظيرَةِ قُدسِهِ نَزُلًا لِذاتِكَ لَم يَجُزهُ عَلاءُ
العَرشُ تَحتَكَ سُدَّةً وَقَوائِمًا وَمَناكِبُ الروحِ الأَمينِ وِطاءُ
وَالرُسلُ دونَ العَرشِ لَم يُؤذَن لَهُم حاشا لِغَيرِكَ مَوعِدٌ وَلِقاءُ
الخَيلُ تَأبى غَيرَ أَحمَدَ حامِيًا وَبِها إِذا ذُكِرَ اسمُهُ خُيَلاءُ
شَيخُ الفَوارِسِ يَعلَمونَ مَكانَهُ إِن هَيَّجَت آسادَها الهَيجاءُ
وَإِذا تَصَدّى لِلظُبا فَمُهَنَّدٌ أَو لِلرِماحِ فَصَعدَةٌ سَمراءُ
وَإِذا رَمى عَن قَوسِهِ فَيَمينُهُ قَدَرٌ وَما تُرمى اليَمينُ قَضاءُ
مِن كُلِّ داعي الحَقِّ هِمَّةُ سَيفِهِ فَلِسَيفِهِ في الراسِياتِ مَضاءُ
ساقي الجَريحِ وَمُطعِمُ الأَسرى وَمَن أَمِنَت سَنابِكَ خَيلِهِ الأَشلاءُ
إِنَّ الشَجاعَةَ في الرِجالِ غَلاظَةٌ ما لَم تَزِنها رَأفَةٌ وَسَخاءُ
وَالحَربُ مِن شَرَفِ الشُعوبِ فَإِن بَغَوا فَالمَجدُ مِمّا يَدَّعونَ بَراءُ
وَالحَربُ يَبعَثُها القَوِيُّ تَجَبُّرًا وَيَنوءُ تَحتَ بَلائِها الضُعَفاءُ
كَم مِن غُزاةٍ لِلرَسولِ كَريمَةٍ فيها رِضىً لِلحَقِّ أَو إِعلاءُ
كانَت لِجُندِ اللهِ فيها شِدَّةٌ في إِثرِها لِلعالَمينَ رَخاءُ
ضَرَبوا الضَلالَةَ ضَربَةً ذَهَبَت بِها فَعَلى الجَهالَةِ وَالضَلالِ عَفاءُ
دَعَموا عَلى الحَربِ السَلامَ وَطالَما حَقَنَت دِماءً في الزَمانِ دِماءُ
الحَقُّ عِرضُ اللهِ كُلُّ أَبِيَّةٍ بَينَ النُفوسِ حِمىً لَهُ وَوِقاءُ

هَـل كـانَ حَـولَ مُحَمَّـدٍ مِـن قَومِـهِ   إلا صَـــبِيٌّ واحِـــدٌ وَنِســـاءُ
فَــدَعا فَلَــبّى في القَبائِــلِ عُصــبَةٌ   مُستَضـــعَفونَ قَلائِـــلٌ أَنضـــاءُ
رَدّوا بِبَـأسِ العَـزمِ عَنـهُ مِـنَ الأَذى   مـــا لا تَـــرُدُّ الصَـــخرَةُ الصَـــمّاءُ
وَالحَـــقُّ وَالإِيمـــانُ إِن صُـــبّا عَلـــى   بُـــردٍ فَفيـــهِ كَتيبَـــةٌ خَرســـاءُ
نَسَـفوا بِنـاءَ الشِـركِ فَهـوَ خَرائِـبٌ   وَاستَأصَـلوا الأَصـنامَ فَهـيَ هَبـاءُ
يَمشـونَ تُغضـي الأَرضُ مِـنهُمْ هَيبَـةً   وَبِهِـــمْ حِيـــالَ نَعيمِهـــا إِغضـــاءُ
حَـــتّى إِذا فُتِحَـــت لَهُـــمْ أَطرافُهـــا   لَم يُطغِهِـــمْ تَـــرَفٌ وَلا نَعمـــاءُ
يا مَــن لَــهُ عِــزُّ الشَــفاعَةِ وَحــدَهُ   وَهـــوَ المُنَـــزَّهُ مـــا لَـــهُ شُـــفَعاءُ
عَـرشُ القِيامَـةِ أَنـتَ تَحـتَ لِوائِـهِ   وَالحَـــوضُ أَنـــتَ حِيالَـــهُ السَـــقاءُ
تَـروي وَتَسـقي الصـالِحينَ ثَـوابَهُمْ   وَالصـــالِحاتُ ذَخـــائِرٌ وَجَـــزاءُ
أَلِمِثلِ هَـذا ذُقتَ في الـدُنيا الطَوى   وَانشَـــقَّ مِـــن خَلَـــقٍ عَلَيـــكَ رِداءُ
لي في مَــديحِكَ يا رَســولُ عَــرائِسٌ   تُـــيِّمنَ فيـــكَ وَشـــاقَهُنَّ جَـــلاءُ
هُـــنَّ الحِســـانُ فَـــإِن قَبِلـــتَ تَكَرُّمًـــا   فَمُهـــورُهُنَّ شَـــفاعَةٌ حَســـناءُ
أَنـــتَ الَّـــذي نَظَـــمَ البَرِيَّـــةَ دينُـــهُ   مـــاذا يَقـــولُ وَيَـــنظُمُ الشُـــعَراءُ
المُصـــلِحونَ أَصـــابِعٌ جُمِعَـــت يَـــدًا   هِـيَ أَنـتَ بَـل أَنـتَ اليَـدُ البَيضـاءُ
مـا جِئـتُ بابَـكَ مادِحًـا بَـل داعِيًـا   وَمِـــنَ المَـــديحِ تَضَـــرُّعٌ وَدُعـــاءُ
أَدعـوكَ عَـن قَـومي الضِـعافِ لِأَزمَـةٍ   في مِثلِهـــا يُلقـــى عَلَيـــكَ رَجـــاءُ
أَدرى رَســـولُ اللهِ أَنَّ نُفوسَـــهُمْ   رَكِبَـــت هَواهـــا وَالقُلـــوبُ هَـــواءُ

مُتَفَكِّكــونَ فَمــا تَضُــمُّ نُفوسَــهُمْ ثِقَــةٌ وَلا جَمَــعَ القُلــوبَ صَــفاءُ
رَقَـــدوا وَغَـــرَّهُمُ نَعـــيمٌ باطِـــلٌ وَنَعـــيمُ قَـــومٍ في القُيـــودِ بَـــلاءُ
ظَلَمــوا شَــريعَتَكَ الَّــتي نِلنــا بِهــا مــا لَمْ يَنَــل في رومَــةَ الفُقَهــاءُ
مَشَـتِ الحَضـارَةُ في سَـناها وَاهتَـدى في الـدينِ وَالـدُنيا بِهـا السُـعَداءُ
صَلّى عَلَيكَ اللهُ ما صَحِبَ الدُجى حــادٍ وَحَنَّــت بِالفَــلا وَجنــاءُ
وَاســتَقبَلَ الرِضــوانَ في غُرُفــاتِهِمْ بِجِنــانِ عَــدنٍ آلُــكَ السُــمَحاءُ
خَـيرُ الوَسـائِلِ مَـن يَقَـع مِنهُم عَلـى سَــبَبٍ إِلَيــكَ فَحَســبِيَ الزَهــراءُ

هذي المحاسنُ ما خلقتَ لِبُرقُع

هذه القصيدة معارضة أحمد شوقي على عينية ابن سينا

ضُـمّي قِناعَـكِ يا سُـعادُ أَو اِرفَعي ... هَـذي المَحاسِـنُ مـا خُلِقنَ لِبُرقُعِ
الضــاحياتُ، الباكيــاتُ، ودونَهــا ... ستر الجـلالِ ، بعدُ شأو المطلع
يا دُمْيَـــةً لا يُســــتزاد جمالُهــــا ... زيديـه حُسْـنَ المُحْسِـن المتـبرّعِ
مــاذا علــى ســلطانِه مــن وقفــة ... للضّــارعين، وعَطْفــةٍ للخُشَّــع؟
بـل مـا يضـركِ لـو سمحت بجلوة ؟ ... إنّ العــروسَ كثــيرةُ المتطلَّــع
لـيس الحجـابُ لِمـن يَعِـز مَنالُـه ... إن الحجـــاب لهـــين لم يمنـــع
أَنــتِ الــتي اتَّخَــذ الجمــالَ لعــزّه ... مـن مظهـر ، ولسره مـن موضع
وهـو الصـناع ، يصـوغ كـل دقيقـة ... وأَدقّ منـــكِ بَنانُـــه لم تَصْـــنَع
لمسـتك راحتــه ، ومســك روحــه ... فـأَتى البـديعُ على مِثال المُبْـدِعِ
الله في الأحبـــار : مــن متهالــكٍ ... نضـوٍ ، ومهتوكِ المسوحِ مصرع
مــن كــل غــاوٍ في طويــةِ راشــدٍ ... عاصي الظواهرِ في سريرةِ طَيّع
يَتَوَهَّجـــون ويَطفـــأون، كـــأَنهم ... ســـرجٌ بمعـــتركِ الـــرياحِ الأربـــع
علمـوا ، فضـاق بهـم وشقَّ طريقهم ... والجـاهلون علـى الطريـق المَهْيَـع
ذهب ابن سينا ، لم يفز بكِ ساعةً ... وتَوَلَّـــت الحكمـــاءُ لم تَتَمَتّـــع
هـــذا مقـــامٌ ، كـــلُّ عِـــزٍّ دونَـــه ... شمـــسُ النهـــارِ بمثلـــه لم تطمـــع

فمحمــدٌ لــك والمســيح تــرجلا ... وترجلتْ شمسُ النهار ليوشع
مـا بالُ أَحمـدَ عَـيَّ عنـكِ بيانُـه؟ ... بـل مـا لعيسـى لم يقـلْ أو يـدع
وَلِســانُ موسـى اِنحَـلَّ إِلّا عُقـدَةً ... مِـن جانِبَيـكَ عِلاجُهـا لَم يَنجَـعِ
لَمّــا حَلَلــتِ بِآدَمٍ حَــلَّ الحِبــا ... وَمَشى عَلى المَلَأ السُجودِ الرُكَّعِ
وَأَرى النُبُـــوَّةَ في ذَراكِ تَكَرَّمَـــت ... في يوسُـفٍ وَتَكَلَّمَـت في المُرضَـعِ
وَسَـقَت قُـريشَ عَلـى لِسـانِ مُحَمَّـدٍ ... بِالبـابِلِيِّ مِـنَ البَيـانِ المُمتِـعِ
وَمَشَـت بِموسـى في الظَـلامِ مُشَـرَّداً ... وَحَدَتـهُ في قُلَـلِ الجِبـالِ اللُمَّـعِ
حَـتّى إِذا طُوِيَـت وَرِثـتِ خِلالَهـا ... رُفِـعَ الرَحيـقُ وَسِـرُّهُ لَم يُرفَـعِ
قَسَـمَت مَنازِلَـكِ الحُظـوظُ فَمَنـزِلاً ... أُتـرِعنَ مِنـكِ وَمَنـزِلاً لَم تُـترَعِ
وَخَلِيَّـــةً بِالنَحــلِ مِنــكِ عَمــيرَةً ... وَخَلِيَّـــةً مَعمـــورَةٍ بِالتُبَّـــعِ
وَحَظـيرَةً قَـد أودِعَـت غُـرَرَ الـدُمى ... وَحَظـــيرَةً مَحرومَـــةً لَم تـــودَعِ
نَظَـرَ الـرَئيسُ إِلى كَمالِـكِ نَظـرَةً ... لَم تَخـلُ مِـن بَصَـرِ اللَبيـبِ الأَروَعِ
فَــرَآهُ مَنزِلَــةً تَعَــرَّضَ دونَهــا ... قِصَرُ الحَياةِ وَحالَ وَشكُ المَصرَعِ
لَـولا كَمالُـكِ في الـرَئيسِ وَمِثلِـهِ ... لَم تَحسُــنِ الــدُنيا وَلَم تَتَرَعــرَعِ
اللهُ ثَبَّـــتَ أَرضَـــهُ بِـــدَعائِمٍ ... هُـم حـائِطُ الـدُنيا وَرُكنُ المَجمَـعِ
لَــو أَنَّ كُــلَّ أَخــي يَـراعٍ بالِــغٌ ... شَأوَ الرَئيسِ وَكُلَّ صاحِبِ مِبضَعِ
ذَهَـبَ الكَمـالُ سُـدىً وَضـاعَ مَحَلُّـهُ ... في العــالَمِ المُتَفــاوِتِ المُتَنَــوِّعِ
يا نَفـسُ مِثـلُ الشَـمسِ أَنـتِ أَشِـعَّةٌ ... في عــامِرٍ وَأَشِـــعَّةٌ في بَلقَـــعِ

فَـإِذا طَـوى اللهُ النَهـارَ تَراجَعَـت شَـتّى الأَشِـعَّةِ فَالتَقَـت فِي المَرجِـعِ
لَمـا نُعيـتِ إِلى المَنـازِلِ غـودِرَت دَكّـاً وَمِثلُـكِ فِي المَنـازِلِ مـا نُعـي
ضَـجَّت عَلَيـكِ مَعالِمـاً وَمَعاهِـداً وَبَكَـت فُراقُـكِ بِالـدُموعِ الهُمَّـعِ
آذَنتِهـا بِنَـوىً فَقالَـت لَيـتَ لَم تَصِـلِ الحِبـالَ وَلَيتَهـا لَم تَقطَـعِ
وَرِداءُ جُثمـانٍ لَبِسـتِ مُـرَقَّمٍ بِيَدِ الشَبابِ عَلى المَشيبِ مُرَقَّعِ
كَـم بِنـتِ فيـهِ وَكَـم خَفيـتِ كَأَنَّـهُ ثَـوبُ المُمَثِّـلِ أَو لِبـاسُ المَرفَـعِ
أَسَـئِمتِ مِـن ديباجِـهِ فَنَزَعتِـهِ وَالخَـزُّ أَكفـانٌ إِذا لَم يُنـزَعِ
فَزِعَـت وَمـا خَفِيَـت عَلَيها غايَـةٌ لَكِـنَّ مَـن يَـرِدِ القِيامَـةَ يَفـزَعِ
ضَـرَعَت بِأَدمُعِهـا إِلَيـكِ وَمـا دَرَت أَنَّ السَـفينَةَ أَقلَعَـت فِي الأَدمُـعِ
أَنـتِ الوَفِيَّـةُ لا الـذِمامُ لَـدَيكِ مَـذ مـومٌ وَلا عَهـدُ الهَـوى بِمُضَـيَّعِ
أَزمَعـتِ فَانهَلَّـت دُموعُـكِ رِقَّـةً وَلَـوِ اِسـتَطَعتِ إِقامَـةً لَم تُزمِعـي
بانَ الأَحِبَّـةُ يَـومَ بَينِـكِ كُلُّهُـم وَذَهَبـتِ بِالماضـي وَبِالمُتَوَقَّـعِ

سلوا قلبي

ضُـمّي قِناعَـكِ يا سُـعادُ أَو اِرفَعـي   هَـذي المَحاسِـنُ مـا خُلِقـنَ لِبُرقُـعِ

في مدح النبي مُحَمَّد وفي ذكرى المولد   سلُـوا قلبـي غـداةَ سـلا وثابـا

لعـلَّ علـى الجمـالِ لـه عِتابـا   ويُسْـأَلُ فِي الحـوادثِ ذو صـوابٍ

فَهَـلْ تَـرَكَ الجْمـالُ لـه صوابـا ؟   وكنـتُ إذا سأَلـتُ القلـبَ يومـاً

تـولَّى الدمـعُ عـن قلبـي الجوابـا   ولـي بيـن الضلـوع دمٌ ولحـمٌ

همـا الـواهي الـذي ثكِـلَ الشبابـا   تَسَرَّبَ فِي الدموعِ ، فقلتُ : ولَّى

وصَفَّقَ فِي الضلوعِ ، فقلتُ : ثابـا   ولـوْ خُلِقَـتْ قلـوبٌ مِـنْ حديـد

لـما حَمَلَـتْ كمـا حَمَـل العذابـا   وأَحْبـابٍ سُقيـتُ بِهِـمْ سُلافـاً

وكـان الوصْـلُ مِـنْ قِصَـرٍ حَبابـا   ونادَمْنـا الشبـابَ علـى بِسـاطٍ

مـن اللـذاتِ مُخْتلـفٍ شرابـا   وكُـلُّ بساطِ عَيْشٍ سَـوْف يُطـوى

وإن طـال الزمـانُ بِـهِ وطابـا   كـأَنَّ الْقَلْـبَ بَعْدهُـمُ غريـبٌ

إذا عادَتْـه ذِكْـرى الأهـلِ ذابـا   ولا يُنْبِيـكَ عـن خُلُـقِ الليالـي

كمـن فَقَـد الأَحِبَّـةَ والصِّحابـا   أَخـا الدنيـا ، أرى دنيـاك أَفعـى

تُبـدِّل كـلَّ آونـةٍ إهابـا   وأَنَّ الرُّقْـطَ أَيْقَـظُ هاجعـاتٍ

وأتْـرَعُ فِي ظـلالِ السلـم نابـا   ومِـنْ عَجَـبٍ تُشيِّـبُ عاشِقيـها

وتُفْنِـيهمْ ، ومـا بَرِحَـتْ كَعَابـا   فَمَـنْ يغْتَـرُّ بالدنيـا فإنّـي

لبســـتُ بـــها فأَبليـــتُ الثيابـــا
لهـا ضَحِـكُ القِيـانِ إلـى غَبـيّ

وِلِي ضحـــكُ اللبيـــبِ إذا تغابـــى
جنيـتُ برَوْضِهـا ورداً ، وشوكـاً

وذقـتُ بكأْسِهـا شُهْـداً، وصابـا
فلـمْ أر غيـرَ حُكْـمِ الله حُكْمـاً

ولـــم أَر دون بـــابِ الله بابـــا
ولا عظَّمْـــتُ فِـــي الأَشيـــاءِ إلاّ

صحيـحَ الْعِلْـم ، والأَدبَ اللّبابـا
ولا كَرّمْـــتُ إلاّ وجْـــهَ حُـــرٍّ

يُقلِّـــد قَوْمَـــه الْمِنـــنَ الرَّغابـــا
ولـم أَر مثـلَ جـمعِ المـالِ داءً

ولا مِثْـــلَ البخيـــلِ بـــه مُصابـــا
فـــلا تَقْتُلْـــك شهوتُـــه ، وزِنْهـــا

كمـــا تَـــزِنُ الطعـــامَ أو الشرابـــا
وخُـــذْ لبنيـــكَ والأيـــامِ ذُخـــراً

وأَعْـــطِ الله حِصَّتَـــه احتسابـــا
فلـوْ طالعْـتَ أَحْـداثَ الليالـي

وجـــدْتَ الْفَقْـــرَ أَقرَبَهـــا انتيابـــا
وأَن البِـــرَّ خيـــرٌ فِـــي حيـــاةٍ

وأَبقـــى بَعْـــدَ صاحبِـــه ثوابـــا
وأَن الشـــرَّ يصـــدعُ فاعِليـــه

ولـــم أَرَ خيِّـــراً بالشَّـــرِّ آبـــا
فَرِفقـــاً بالبنيـــن إذا الليالـــي

علـى الأَعقـابِ أوْقَعَـتِ العِقابـا
ولمْ يَتَقَلَّـــدوا شُكْـــرَ اليتامـــى

ولا ادَّرعـــوا الدعـــاءَ المستجابـــا
عَجِبْـتُ لِمَعْشَـرٍ صلَّـوا وصامـوا

عواهـــرَ، خشْيـــةً وتُقَـــى كِذابـــا
وتُلْفــيهمْ حِيـالَ المـالِ صُمَّـا

إذا داعـــي الزكـــاةِ بِهِـــمْ أَهابـــا
لَقَـــدْ كَتَمُـــوا نصيـــبَ الله منْـــهُ

كـــأَنَّ الله لَـــمْ يُحْـــصِ النِّصابـــا
ومَـــنْ يَعْـــدِلْ بحُـــبِّ الله شيئـــاً

كحـبِّ المـالِ ، ضَـلَّ هـوىً وخابـا
أَراد الله بالفقـــــــراءِ بِـــــــرّاً

وبالأَيتـــام حُبًّـــا وارْتبابـــا   فـــرُبَّ صغيـــرِ قَـــوْمٍ علَّمـــوه
سَمَـا وحَمَـى المُسَوَّمَـةَ العِرابـا   وكـــانَ لِقَوْمِـــهِ نَفْعـــاً وفَخْـــراً
وَلَـوْ تركـوه كـان أذىً وعابـا   فعلِّـمْ مـا اسَتَطعْـت، لَعَـلَّ جيـلاً
سَيَأْتـي يُحْـدِثُ العَجَـبَ العُجابـا   ولا تُرْهِـقْ شبـابَ الـحيِّ يأْسـاً
فَـإِنَّ اليـأْسَ يخْتَـرِمُ الشَّبابـا   يريـد الخالـقُ الـرزقَ اشتراكـاً
وإن يـكُ خـصَّ أَقوامـاً وحابـى   فمـا حَـرَمَ الْمُجِـدَّ جَنَـى يديـه
ولا نَسِـيَ الشقـيَّ ، ولا المُصابـا   ولـولا الْبُخْـلُ لم يَهْلِـكْ فريـقٌ
علـى الأقـدارِ تلْقاهُـمْ غِضابـا   تَعِبْـتُ بأَهْلِـه لَوْمـاً ، وقبلـي
دُعـاةُ البِـرِّ قـد سئمـوا الخطابـا   ولـوْ أَنـي خطبْـتُ علـى جَمَـادٍ
فَجَـرْتُ بـه الينابيـعَ العِذابـا   أَلَمْ تَـرَ للهـواءِ جـرى فأَفْضـى
إلى الأَكـواخِ ، واخْتَـرَقَ الْقِبابـا ؟   وأَنَّ الشَّـمْسَ فِي الآفـاق تَغشـى
حِمى كِسْرَى ، كما تغشى اليبابا ؟   وأَن الـماءَ تـروى الأُسْـدُ منـهُ
ويَشْـفي مِـنْ تَلَعْلُعِـها الكلابـا ؟   وسَـوّى الله بَيْنَكُـمُ المنايـا
ووسَّدَكُـمْ مَـعَ الرسْـلِ التُّرابـا   وأَرْسَـلَ عائـلاً مِنْكُـمْ يتيمـاً
دنا مِـنْ ذي الجَـلالِ فكـانَ قابـا   نبـيُّ البـرِّ ، بَيَّنَـهُ سبيـلاً
وَسَـنَّ خِلالَـه ، وهَـدى الشِّعابـا   تَفَـرَّقَ بعْـدَ عيسـى النـاسُ فيـه
فَلَمَّـا جـاءَ كـان لَهُـمْ مَتابـا   وشـافي الـنفسِ مِـنْ نزَعـاتِ شَـرٍّ
كشـافٍ مِـنْ طبائعهـا الذئابـا   وكـان بيانُـه للهـدْي سُبْـلاً

وكانَــتْ خَيْلُــه لِلْحَــقِّ غابــا ... وعَلَّمنــا بنــاءَ المجْــدِ ، حتَّــى
أَخَذْنــا إِمْــرَةَ الأَرْضِ اغتصابــا ... ومــا نَيــلُ المَطالِــب بالتَّمنـــي
ولكـــن تُؤخَـــذُ الدّنيـــا غِلابــا ... ومـا استعصـى علـى قـومٍ منـالٌ
إذا الإقـــدامُ كـــان لَهُـــمْ رِكابــا ... تجلَّـى مولـدُ الـهادي ، وعمَّـتْ
بشائـــرهُ البـــواديَ والقِصابـــا ... وأَسْـدَتْ لِلْبرَّيــةِ بِنْــتُ وَهْــبٍ
يــداً بيضــاءَ ، طوّقــتِ الرِّقابــا ... لقــدْ وَضَعَتْــه وهّاجــاً ، مُنيــراً
كمــا تلــدُ السمــاواتُ الشِّهابــا ... فَقَـامَ علـى سمـاءِ الْبيْـتِ نـوراً
يُضـــيءُ جبـــالَ مكَّـــةَ والنقابــا ... وضـاعت يَثْـرِبُ الفيحـاءُ مِسْكـاً
وفـــاحَ القـــاعُ أَرجـــاءً وطابـــا ... أَبا الزَّهْـراءِ ، قـدْ جـاوزتُ قـدري
بِمَـدْحِكَ ، بيْـدَ أنَّ لِـيَ انْتِسابـا ... فمــا عَــرَفَ الْبَلاَغَــةَ ذو بيــانٍ
إذا لـــم يَتَّخِـــذْكَ لـــه كِتابـــا ... مَـدَحْتُ المالكينَ ، فَـزِدْتُ قَـدْراً
فحـين مَـدَحْتُكَ اقْتَـدْتُ السَّحابـا ... سأَلـــتُ الله فِـــي أبنـــاء دينـــي
فـإن تَكُـنِ الْوَسيلـةَ لـي أجابـا ... ومــا لِلْمُسْلِميــن سِــواكَ حِصْــنٌ
إذا وكـان مِنَ النُحوسِ لَهُمْ حِجابا ... مـــا الضـــرُّ مسَّهُـــمُ ونابـــا
كـأَنَّ الـنَّحْسَ حيـن جـرى عَلَيْهِـمْ ... أَطـــار بكـــلِّ مَمْلَكـــةٍ غُرابـــا
ولـوْ حفظـوا سـبيلَكَ كـان نُـوراً ... بنيْـتَ لَهُـمْ مِـنَ الأخـلاقِ رُكنـاً
فخـانوا الـرُكْنَ ، فانْهَـدَمَ اضطرابـا ... وكـــانَ جَنابُهُـــمْ فيهـــا مَهيبـــاً
ولَلأخـــلاقُ أَجــدرُ أن تُهابـــا ... فلوْلاهــا لســاوى الليــثُ ذئبــاً

فــإنْ قُرنَــتْ مَكارِمُهــا بِعِلْــمٍ وســاوى الصــارِمُ الْماضــي قِرابــا

وفِي هــذا الزمــانِ مَسيــحُ عِلْــمٍ تَذَلَّلــتِ العُــلاَ بِهِمَــا صِعَابــا

يَرُدُّ على بني الأُمَمِ الشبابا

بطل الصحراء

في رثاء عمر المختار

رَكَــزوا رُفاتَــكَ في الرِمــالِ لِــواءَ	يَســتَنهِضُ الــوادي صَــباحَ مَســاءَ
يا وَيحَهُــم نَصَــبوا مَنــاراً مِــن دَمٍ	تــوحي إِلى جيــلِ الغَــدِ البَغضــاءَ
ما ضَرَّ لَو جَعَلوا العَلاقَةَ في غَدٍ	بَــينَ الشُــعوبِ مَــوَدَّةً وَإِخــاءَ
جُرحٌ يَصيحُ عَلى المَدى وَضَحِيَّةٌ	تَـــتَلَمَّسُ الحُرِّيَـــةَ الحَمـــراءَ
يا أَيُّهــا السَــيفُ المُجَــرَّدُ بِالفَــلا	يَكسو السُيوفَ عَلى الزَمانِ مَضاءَ
تِلكَ الصَحاري غِمدُ كُلِّ مُهَنَّدٍ	أَبلــى فَأَحسَــنَ في العَــدُوِّ بَــلاءَ
وَقُبــورُ مَــوتى مِــن شَــبابِ أُمَيَّــةٍ	وَكُهــــولِهِم لَم يَبرَحــــوا أَحيــــاءَ
لَــو لاذَ بِالجَــوزاءِ مِــنهُم مَعقِــلٌ	دَخَلــوا عَلــى أَبراجِهــا الجَــوزاءَ
فَتَحــوا الشَــمالَ سُــهولَهُ وَجِبالَــهُ	وَتَوَغَّلــوا فَاِســتَعمَروا الخَضــراءَ
وَبَنَــوا حَضــارَتَهُم فَطــاوَلَ رُكنُهــا	دارَ السَـــلامِ وَجِلَّـــقَ الشَـــمّاءَ
خُيِّرتَ فَاِختَرتَ المَبيتَ عَلى الطَوى	لَم تَـــبنِ جاهـــاً أَو تَلُـــمَّ ثَـــراءَ
إِنَّ البُطولَـةَ أَن تَمـوتَ مِـن الظَمـا	لَــيسَ البُطولَــةُ أَن تَعُــبَّ المــاءَ
إِفريقيــا مَهــدُ الأُســودِ وَلَحــدُها	ضَــجَّت عَلَيــكَ أَراجِــلاً وَنِســاءَ
وَالمُسلِمونَ عَلى اِختِلافِ دِيارِهِم	لا يَملُكــونَ مَــعَ المُصــابِ عَــزاءَ
وَالجاهِلِيَّـــةُ مِـــن وَراءِ قُبـــورِهِم	يَبكــونَ زيــدَ الخَيــلِ وَالفَلحــاءَ

فِي ذِمَّـــةِ اللهِ الكَـــريمِ وَحِفظِـــهِ جَسَـــدٌ بِبُرقَـــةَ وُسِّـــدَ الصَـــحراءَ
لَم تُبـقِ مِنـهُ رَحـى الوَقـائِعِ أَعظُمـاً تَبلـــى وَلَم تُبـــقِ الرِمـــاحُ دِمـــاءَ
كَرُفـاتِ نَسـرٍ أَو بَقِيَّـةِ ضَـيغَمٍ باتا وَراءَ الســـــافِياتِ هَبـــــاءَ
بَطَـلُ البَـداوَةِ لَم يَكُـن يَغـزو عَلـى تَنَـكٍ وَلَم يَـكُ يَركَـبُ الأَجـواءَ
لَكِـن أَخـو خَيـلٍ حَمـى صَـهَواتِها وَأَدارَ مِـــن أَعرافِهـــا الهَيجـــاءَ
لَـبّى قَضـاءَ الأَرضِ أَمـسِ بِمُهجَـةٍ لَم تَخـــشَ إِلّا لِلسَـــماءِ قَضـــاءَ
وافـــاهُ مَرفـــوعَ الجَبـــينِ كَأَنَّـــهُ سُـــقراطُ جَـــرَّ إِلى القُضـــاةِ رِداءَ
شَـــيخٌ تَمالَـــكَ سِـــنَّهُ لَم يَنفَجِـــر كَالطِفـلِ مِـن خَـوفِ العِقـابِ بُكـاءَ
وَأَخـــو أُمـــورٍ عـــاشَ في سَـــرّائِها فَتَغَيَّـــرَت فَتَوَقَّـــعَ الضَـــرّاءَ
الأُسـدُ تَـزأَرُ في الحَديـدِ وَلَـن تَـرى في السِجنِ ضِرغاماً بَكى اِستِخذاءَ
وَأَتـى الأَسـيرُ يَجُـرُّ ثِقـلَ حَديـدِهِ أَسَـــدٌ يُجَـــرِّرُ حَيَّـــةً رَقطـــاءَ
عَضَّـت بِسـاقَيهِ القُيـودُ فَلَـم يَنُـؤ وَمَشَـت بِهَيكَلِـهِ السُـنونَ فَنـاءَ
تِسـعونَ لَـو رَكِبَـت مَناكِـبَ شـاهِقٍ لَتَرَجَّلَـــت هَضَـــباتُهُ إِعيـــاءَ
خَفِيَت عَنِ القاضي وَفاتَ نَصيبُها مِـن رِفـقِ جُنـدٍ قـادَةً نُـبَلاءَ
وَالسُـنُّ تَعصِـفُ كُـلَّ قَلـبِ مُهَـذَّبٍ عَـــرَفَ الجُـــدودَ وَأَدرَكَ الآباءَ
دَفَعـوا إِلى الجَـلّادِ أَغلَـبَ ماجِـداً يَأسـو الجِـراحَ وَيُعَتِـقُ الأُسَـراءَ
وَيُشـاطِرُ الأَقـرانَ ذُخـرَ سِـلاحِهِ وَيَصُـفُّ حَـولَ خِوانِـهِ الأَعـداءَ
وَتَخَـيَّروا الحَبـلَ المَهـينَ مَنِيَّـةً لِلَّيـثِ يَلفِـظُ حَولَـهُ الحَـوباءَ

حَرَموا المَماتَ عَلى الصَوارِمِ وَالقَنا   مَن كانَ يُعطي الطَعنَةَ النَجلاءَ
إِنّي رَأَيتُ يَدَ الحَضارَةِ أولِعَت   بِالحَقِّ هَدماً تارَةً وَبِناءَ
شَرَعَت حُقوقَ الناسِ في أَوطانِهِم   إِلّا أُباةَ الضَيمِ وَالضُعَفاءَ
يا أَيُّها الشَعبُ القَريبُ أَسامِعٌ   فَأَصوغُ في عُمَرَ الشَهيدِ رِثاءَ
أَم أَلجَمَت فاكَ الخُطوبُ وَحَرَّمَت   أُذنَيكَ حينَ تُخاطَبُ الإِصغاءَ
ذَهَبَ الزَعيمُ وَأَنتَ باقٍ خالِدٌ   فَانقُد رِجالَكَ وَاِختَرِ الزُعَماءَ
وَأَرِح شُيوخَكَ مِن تَكاليفِ الوَغى   وَاِحمِل عَلى فِتيانِكَ الأَعباءَ

نهج البردة

رِيمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ
رَمى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَدًا ... يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِنَ الأَجَمِ
لَمّا رَنا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَةً ... يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي
جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهمَ في كَبِدي ... جُرحُ الأَحِبَّةِ عِندي غَيرُ ذي أَلَمِ
رُزِقتَ أَسمَحَ ما في الناسِ مِن خُلُقٍ ... إِذا رُزِقتَ اِلتِماسَ العُذرِ في الشِيَمِ
يا لائِمي في هَواهُ وَالهَوى قَدَرٌ ... لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَم تَعذِل وَلَم تَلُمِ
لَقَد أَنَلتُكَ أُذنًا غَيرَ واعِيَةٍ ... وَرُبَّ مُنتَصِتٍ وَالقَلبُ في صَمَمِ
يا ناعِسَ الطَرفِ لا ذُقتَ الهَوى أَبَدًا ... أَسهَرتَ مُضناكَ في حِفظِ الهَوى فَنَمِ
أَفديكَ إِلفًا وَلا آلو الخَيالَ فِدًى ... أَغراكَ بِالبُخلِ مَن أَغراهُ بِالكَرَمِ
سَرى فَصادَفَ جُرحًا دامِيًا فَأَسا ... وَرُبَّ فَضلٍ عَلى العُشّاقِ لِلحُلُمِ
مَنِ المَوائِسُ بانًا بِالرُبى وَقَنًا ... اللاعِباتُ بِروحي السافِحاتُ دَمي
السافِراتُ كَأَمثالِ البُدورِ ضُحًى ... يُغِرنَ شَمسَ الضُحى بِالحَليِ وَالعِصَمِ
القاتِلاتُ بِأَجفانٍ بِها سَقَمٌ ... وَلِلمَنِيَّةِ أَسبابٌ مِنَ السَقَمِ
العاثِراتُ بِأَلبابِ الرِجالِ وَما ... أُقِلنَ مِن عَثَراتِ الدَلِّ في الرَسَمِ
المُضرِماتُ خُدودًا أَسفَرَتْ وَجَلَتْ ... عَن فِتنَةٍ تُسلِمُ الأَكبادَ لِلضَرَمِ
الحامِلاتُ لِواءَ الحُسنِ مُختَلِفًا ... أَشكالُهُ وَهوَ فَردٌ غَيرُ مُنقَسِمِ

مِـن كُـلِّ بَيضـاءَ أَو سَمـراءَ زُيِّنَتـا ... لِلعَـينِ وَالحُسـنُ في الآرامِ كَالعُصُـمِ

يُـرَعنَ لِلبَصَـرِ السامي وَمِن عَجَبٍ ... إِذا أَشَـرنَ أَسَـرنَ اللَيـثَ بِالعَـنَمِ

وَضَعتُ خَدّي وَقَسَّمتُ الفُؤادَ رُبًى ... يَـرتَعنَ في كُـنُسٍ مِنـهُ وَفي أَكَـمِ

يا بِنـتَ ذي اللَبَـدِ المُحَمـيِّ جانِبُـهُ ... أَلقـاكِ في الغـابِ أَم أَلقـاكِ في الأُطُـمِ

مـا كُنـتُ أَعلَـمُ حَـتّى عَـنَّ مَسـكَنُهُ ... أَنَّ المُـنى وَالمَنـايا مَضـرِبُ الخِـيَمِ

مَن أَنبَتَ الغُصنَ مِن صَمصامَةٍ ذَكَرٍ ... وَأَخـرَجَ الـريمَ مِـن ضِـرغامَةٍ قَـرِمِ

بَيـني وَبَينُـكِ مِـن سُمرِ القَنا حُجُبٌ ... وَمِثلُهـا عِفَّـةٌ عُذرِيَّـةُ العِصَـمِ

لَم أَغشَ مَغناكِ إِلّا في غُضونِ كَرًى ... مَغنـاكَ أَبعَـدُ لِلمُشـتاقِ مِـن إِرَمِ

يا نَفـسُ دُنيـاكِ تُخفـى كُـلَّ مُبكِيَـةٍ ... وَإِن بَـدا لَـكِ مِنهـا حُسـنُ مُبتَسَـمِ

فُضّي بِتَقواكِ فاهًا كُلَّما ضَحِكَتْ ... كَمـا يَفُـضُّ أَذى الرَقشـاءِ بِالثَـرَمِ

مَخطوبَـةٌ مُنـذُ كـانَ النـاسُ خاطِبَـةٌ ... مِـن أَوَّلِ الـدَهرِ لَم تُرمِـل وَلَم تَـئِمِ

يَفـنى الزَمـانُ وَيَبقـى مِـن إِسـاءَتِها ... جُـرحٌ بِآدَمَ يَبكـي مِنـهُ في الأَدَمِ

لا تَحفَلـي بِجَناهـا أَو جِنايَتِهـا ... المَـوتُ بِالزَهـرِ مِثـلُ المَـوتِ بِالفَحَـمِ

كَـم نائِـمٍ لا يَراهـا وَهـيَ ساهِرَةٌ ... لَـولا الأَمـانِيُّ وَالأَحـلامُ لَم يَـنَمِ

طَـورًا تَمُـدُّكَ في نُعمـى وَعافِيَـةٍ ... وَتارَةً في قَـرارِ البُـؤسِ وَالوَصَـمِ

كَـم ضَـلَّلَتكَ وَمَـن تُحجَـب بَصيرَتُهُ ... إِن يَلـقَ صـابا يَـرِد أَو عَلقَمًـا يَسُـمُ

يا وَيلَتـاهُ لِنَفسـي راعَهـا وَدَهـا ... مُسـوَدَّةُ الصُحفِ في مُبيَضَّـةِ اللِمَـمِ

رَكَضـتُها في مَريـعِ المَعصِياتِ وَما ... أَخَـذتُ مِـن حِمِيَـةِ الطاعـاتِ لِلتُخَمِ

هامَت عَلى أَثَرِ اللَذّاتِ تَطلُبُها وَالنَفسُ إِن يَدعُها داعي الصِبا تَهِمِ
صَلاحُ أَمرِكَ لِلأَخلاقِ مَرجِعُهُ فَقَوِّمِ النَفسَ بِالأَخلاقِ تَستَقِمِ
وَالنَفسُ مِن خَيرِها في خَيرِ عافِيَةٍ وَالنَفسُ مِن شَرِّها في مَرتَعٍ وَخِمِ
تَطغى إِذا مُكِّنَت مِن لَذَّةٍ وَهَوًى طَغيَ الجِيادِ إِذا عَضَّت عَلى الشُكُمِ
إِن جَلَّ ذَنبي عَنِ الغُفرانِ لي أَمَلٌ في اللَهِ يَجعَلُني في خَيرِ مُعتَصِمِ
أُلقي رَجائي إِذا عَزَّ المُجيرُ عَلى مُفَرِّجِ الكَرَبِ في الدارَينِ وَالغَمَمِ
إِذا خَفَضتُ جَناحَ الذُلِّ أَسأَلُهُ عِزَّ الشَفاعَةِ لَم أَسأَل سِوى أُمَمِ
وَإِن تَقَدَّمَ ذو تَقوى بِصالِحَةٍ قَدَّمتُ بَينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَدَمِ
لَزِمتُ بابَ أَميرِ الأَنبِياءِ وَمَن يُمسِك بِمِفتاحِ بابِ اللَهِ يَغتَنِمِ
فَكُلُّ فَضلٍ وَإِحسانٍ وَعارِفَةٍ ما بَينَ مُستَلِمٍ مِنهُ وَمُلتَزِمِ
عَلَّقتُ مِن مَدحِهِ حَبلاً أُعَزُّ بِهِ في يَومِ لا عِزَّ بِالأَنسابِ وَاللُحَمِ
يُزري قَريضي زُهَيرًا حينَ أَمدَحُهُ وَلا يُقاسُ إِلى جودي لَدى هَرِمِ
مُحَمَّدٌ صَفوَةُ الباري وَرَحمَتُهُ وَبُغيَةُ اللَهِ مِن خَلقٍ وَمِن نَسَمِ
وَصاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرُسلِ سائِلَةٌ مَتى الوُرودُ وَجِبريلُ الأَمينُ ظَمي
سَناؤُهُ وَسَناهُ الشَمسُ طالِعَةً فَالجِرمُ في فَلَكٍ وَالضَوءُ في عَلَمِ
قَد أَخطَأَ النَجمَ ما نالَت أُبُوَّتُهُ مِن سُؤدُدٍ باذِخٍ في مَظهَرٍ سَنِمِ
نُموا إِلَيهِ فَزادوا في الوَرى شَرَفًا وَرُبَّ أَصلٍ لِفَرعٍ في الفَخارِ نُمي
حَواهُ في سُبُحاتِ الطُهرِ قَبلَهُمُ نورانِ قاما مَقامَ الصُلبِ وَالرَحِمِ

لَمّــا رَآهُ بَحــيرًا قــالَ نَعرِفُــهُ   بِمـا حَفِظنـا مِـنَ الأَسمـاءِ وَالسِـيَمِ

سائِل حِراءَ وَروحَ القُدسِ هَل عَلِما   مَصـونَ سِـرٍّ عَـنِ الإِدراكِ مُنكَـتِمِ

كَـم جَيئَـةٍ وَذَهـابٍ شُـرِّفَتْ بِهِـما   بَطحـاءُ مَكَّـةَ فِي الإِصباحِ وَالغَسَـمِ

وَوَحشَـةٍ لِابـنِ عَبـدِ اللهِ بينَهُمـا   أَشهى مِنَ الأُنسِ بِالأَحسابِ وَالحَشَمِ

يُسـامِرُ الـوَحيَ فيهـا قَبـلَ مَهبِطِـهِ   وَمَـن يُبَشِّـر بِسـيمى الخَـيرِ يَتَّسِـمِ

لَمّا دَعا الصَحبُ يَستَسقونَ مِن ظَمَإٍ   فاضَـت يَـداهُ مِـنَ التَسـنيمِ بِالسَـنَمِ

وَظَلَّلَتـهُ فَصـارَت تَسـتَظِلُّ بِـهِ   غَمامَـةٌ جَـذَبَتها خـيرَةُ الـدِيَمِ

مَحَبَّـةٌ لِرَسـولِ اللهِ أُشـرِبَها   قَعائِـدُ الـدَيرِ وَالرُهبـانُ فِي القِمَـمِ

إِنَّ الشَـمائِلَ إِن رَقَّـت يَكـادُ بِهـا   يُغرى الجَمادُ وَيُغرى كُلُّ ذي نَسَـمِ

وَنـودِيَ اِقـرَأ تَعـالى اللهُ قائِلُهـا   لَم تَتَّصِـل قَبـلَ مَـن قيلَـت لَـهُ بِفَـمِ

هُنـاكَ أَذَّنَ لِلـرَحمَنِ فَـامتَلَأَتْ   أَسمـاعُ مَكَّـةَ مِـن قُدسِـيَّةِ الـنَغَمِ

فَلا تَسَل عَن قُرَيشٍ كَيفَ حَيرَتُها   وَكَيـفَ نُفرَتُهـا فِي السَـهلِ وَالعَلَـمِ

تَسـاءَلوا عَـن عَظـيمٍ قَـد أَلَمَّ بِهِـمْ   رَمـى المَشـايِخَ وَالوِلـدانِ بِاللَمَـمِ

يا جـاهِلينَ عَلـى الهـادي وَدَعوَتِـهِ   هَـل تَجهَلـونَ مَكـانَ الصادِقِ العَلَـمِ

لَقَّبتُمـوهُ أَمـينَ القَـومِ فِي صِـغَرٍ   وَمـا الأَمـينُ عَلـى قَـولٍ بِمُـتَّهَمِ

فـاقَ البُـدورَ وَفـاقَ الأَنبِيـاءَ فَكَـمْ   بِالخُلقِ وَالخَلقِ مِن حُسنٍ وَمِن عِظَمِ

جـاءَ النَبِيّـونَ بِالآياتِ فَانصَـرَمَتْ   وَجِئتَنـا بِحَكـيمٍ غَـيرِ مُنصَـرِمِ

يَـزينُهُنَّ جَـلالُ العِتـقِ وَالقِـدَمِ   آياتُـهُ كُلَّمـا طـالَ المَـدى جُـدُدٌ

يَكـــادُ فِي لَفظَـــةٍ مِنـــهُ مُشَـــرَّفَةٍ   يوصـيكَ بِالحَـقِّ وَالتَقـوى وَبِالـرَحِمِ
يا أَفصَـحَ النـاطِقينَ الضـادَ قاطِبَـةً   حَـديثُكَ الشَـهدُ عِنـدَ الـذائِقِ الفَهِـمِ
حَلَّيتَ مِـن عَطَـلٍ جِيـدَ البَيـانِ بِـهِ   فِي كُـلِّ مُنتَثِـرٍ فِي حُسـنِ مُنـتَظِمِ
بِكُـلِّ قَـولٍ كَـريمٍ أَنـتَ قائِلُـهُ   تُحـي القُلـوبَ وَتُحـي مَيِّـتَ الهِمَـمِ
سَـرَت بَشـائِرُ بِالهـادي وَمَولِـدِهِ   فِي الشَرقِ وَالغَربِ مَسرى النورِ فِي الظُلَمِ
تَخَطَّفَـتْ مُهَـجَ الطـاغينَ مِـن عَـرَبٍ   وَطَيَّـرَت أَنفُـسَ البـاغينَ مِـن عُجُـمِ
ريعَت لَها شَرَفُ الإيوانِ فَانصَدَعَتْ   مِن صَدمَةِ الحَقِّ لا مِن صَدمَةِ القُدُمِ
أَتَيـتَ وَالنـاسُ فَوضـى لا تَمُـرُّ بِهِـمْ   إِلا عَلـى صَـنَمٍ قَـد هـامَ فِي صَـنَمِ
وَالأَرضُ مَملـوءَةٌ جَـورًا مُسَـخَّرَةٌ   لِكُـلِّ طاغِيَـةٍ فِي الخَلـقِ مُحـتَكِمِ
مُسَـيطِرُ الفُـرسِ يَبغـي فِي رَعِيَّتِـهِ   وَقَيصَـرُ الـرومِ مِـن كِـبرٍ أَصَـمُّ عَـمِ
يُعَـذِّبانِ عِبـادَ اللهِ فِي شُـبَهٍ   وَيَـذبَحانِ كَمـا ضَـحَّيتَ بِالغَـنَمِ
وَالخَلـقُ يَفتِـكُ أَقـواهُمْ بِأَضـعَفِهِمْ   كَاللَيـثِ بِالـبَهْمِ أَو كَـالحوتِ بِالـبَلَمِ
أَسـرى بِـكَ اللهُ لَـيلاً إِذ مَلائِكُـهُ   وَالرُسلُ فِي المَسجِدِ الأَقصى عَلى قَدَمِ
لَمّـا خَطَـرتَ بِـهِ اِلتَفّـوا بِسَـيِّدِهِمْ   كَالشُـهبِ بِالبَـدرِ أَو كَالجُنـدِ بِالعَلَـمِ
صَـلّى وَراءَكَ مِـنهُمْ كُـلُّ ذي خَطَـرٍ   وَمَـن يَفُـز بِحَبيـبِ اللهِ يَأتَمِـمِ
جُبتَ السَماواتِ أَو ما فَوقَهُنَّ بِهِمْ   عَلـى مُنَـوَّرَةٍ دُرِّيَّـةِ اللُجُـمِ
رَكوبَـةً لَـكَ مِـن عِـزٍّ وَمِـن شَـرَفٍ   لا فِي الجِيـادِ وَلا فِي الأَينُـقِ الرُسُـمِ
مَشـيئَةُ الخـالِقِ البـاري وَصَـنعَتُهُ   وَقُـدرَةُ اللهِ فَـوقَ الشَـكِّ وَالـتُهَمِ

حَـتّى بَلَغـتَ سَمـاءً لا يُطـارُ لَهـا   عَلـى جَنـاحٍ وَلا يُسـعى عَلـى قَـدَمِ
وَقيــلَ كُــلُّ نَــبِيٍّ عِنــدَ رُتبَتِــهِ   وَيا مُحَمَّــدُ هَــذا العَــرشُ فَاســتَلِمِ
خَطَطـتَ لِلـدينِ وَالـدُنيا عُلومَهُمـا   يا قـارِئَ اللَـوحِ بَـل يا لامِـسَ القَلَـمِ
أَحَطـتَ بَينَهُمـا بِالسِـرِّ وَانكَشَـفَت   لَـكَ الخَـزائِنُ مِـن عِلـمٍ وَمِـن حِكَـمِ
وَضاعَفَ القُربُ ما قُلِّدتَ مِن مِنَنٍ   بِـلا عِـدادٍ وَمـا طُوِّقـتَ مِـن نِعَـمِ
سَل عُصبَةَ الشِركِ حَولَ الغارِ سائِمَةً   لَــولا مُطــارَدَةُ المُختــارِ لَم تُسَــمِ
هَل أَبصَروا الأَثَرَ الوَضّاءَ أَم سَمِعوا   هَمـسَ التَسـابيحِ وَالقُـرآنِ مِـن أُمَـمِ
وَهَـل تَمَثَّـلَ نَسـجُ العَنكَبـوتِ لَهُـمْ   كَالغـابِ وَالحائِمـاتُ الزُغْبُ كَـالرُخَمِ
فَــأَدبَروا وَوُجــوهُ الأَرضِ تَلعَــنُهُمْ   كَباطِــلٍ مِــن جَـلالِ الحَـقِّ مُنهَـزِمِ
لَـولا يَـدُ اللهِ بِالجـارَينِ مـا سَـلِما   وَعَينُــهُ حَــولَ رُكــنِ الـدينِ لَم يَقُـمِ
تَــــوارَيا بِجَنـــاحِ اللهِ وَاســـتَتَرا   وَمَــن يَضُــمُّ جَنـاحُ اللهِ لا يُضَــمِ
يا أَحمَـدَ الخَـيرِ لي جـاهٌ بِتَسـمِيَتي   وَكَيـفَ لا يَتَسـامى بِالرَسـولِ سَمـي
المــادِحونَ وَأَربابُ الهَــوى تَبَــعٌ   لِصـاحِبِ البُردَةِ الفَيحـاءِ ذي القَـدَمِ
مَديحُـهُ فيـكَ حُـبٌّ خـالِصٌ وَهَـوًى   وَصـادِقُ الحُـبِّ يُملي صـادِقَ الكَلَـمِ
اللهُ يَشـــــهَدُ أَنّي لا أُعارِضُـــــهُ   من ذا يُعارِضُ صَوبَ العارِضِ العَرِمِ
وَإِنَّمــا أَنا بَعــضُ الغــابِطينَ وَمَــنْ   يَغـبِط وَلِيَّـكَ لا يُـذمَم وَلا يُلَـمِ
هَـذا مَقـامٌ مِـنَ الـرَحمَنِ مُقتَـبَسٌ   تَرمــي مَهابَتُــهُ سَــحبانَ بِالــبَكَمِ
البَـدرُ دونَـكَ في حُسـنٍ وَفي شَـرَفٍ   وَالبَحـرُ دونَـكَ في خَـيرٍ وَفي كَـرَمِ

شُـمُّ الجِبـالِ إِذا طاوَلتَها انخَفَضَـتْ وَالأَنجُـمُ الزُهـرُ مـا واسَمتَهـا تَسِـمِ
وَاللَيـثُ دونَـكَ بَأسًـا عِنـدَ وَثبَتِـهِ إِذا مَشَيتَ إِلى شاكي السِلاحِ كَمي
تَهفـو إِلَيـكَ وَإِن أَدمَيـتَ حَبَّتَهـا في الحَـربِ أَفئِـدَةُ الأَبطـالِ وَالـبُهَمِ
مَحَبَّـــةُ اللهِ أَلقاهــــا وَهَيبَتُـــهُ عَلـى اِبـنِ آمِنَـةٍ في كُـلِّ مُصـطَدَمِ
كَأَنَّ وَجهَكَ تَحتَ النَقعِ بَدرُ دُجًى يُضـيءُ مُلتَثِمًـا أَو غَـيرَ مُلتَـثِمِ
بَـدرٌ تَطَلَّـعَ في بَـدرٍ فَغُرَّتُـهُ كَغُـرَّةِ النَصـرِ تَجلـو داجِـيَ الظُلَـمِ
ذُكِـرتَ بِاليُـتمِ في القُـرآنِ تَكرِمَـةً وَقيمَـةُ اللُؤلُـؤِ المكنـونِ في اليُـتُمِ
اللهُ قَسَّـمَ بَـينَ النـاسِ رِزقَهُـمُ وَأَنـتَ خُـيِّرتَ في الأَرزاقِ وَالقِسَـمِ
إِن قُلتَ في الأَمرِ لا أَو قُلتَ فيهِ نَعَم فَخيرَةُ اللهِ في «لا» مِنكَ أَو «نَعَمِ«
أَخـوكَ عيسى دَعـا مَيتًـا فَقـامَ لَـهُ وَأَنـتَ أَحيَيـتَ أَجيـالاً مِـنَ الـرِّمَمِ
وَالجَهـلُ مَـوتٌ فَـإِن أوتيـتَ مُعجِـزَةً فَابعَث مِنَ الجَهلِ أَو فَابعَث مِنَ الرَجَمِ
قـالوا غَـزَوتَ وَرُسـلُ اللهِ مـا بُعِثـوا لِقَتـلِ نَفـسٍ وَلا جـاؤوا لِسَـفكِ دَمِ
جَهـلٌ وَتَضـليلُ أَحـلامٍ وَسَفسَـطَةٌ فَتَحتَ بِالسَيفِ بَعدَ الفَتحِ بِالقَلَمِ
لَمّا أَتى لَكَ عَفوًا كُلُّ ذي حَسَبٍ تَكَفَّـلَ السَـيفُ بِالجُهّـالِ وَالعَمَـمِ
وَالشَـرُّ إِن تَلقَـهُ بِالخَـيرِ ضِـقتَ بِـهِ ذَرعًـا وَإِن تَلقَـهُ بِالشَـرِّ يَنحَسِـمِ
سَـلِ المَسـيحِيَّةَ الغَـرّاءَ كَـم شَـرِبَتْ بِالصـابِ مِـن شَـهَواتِ الظـالِمِ الغَلِـمِ
طَريـدَةُ الشِـركِ يُؤذيهـا وَيوسِـعُها في كُـلِّ حـينٍ قِتـالاً سـاطِعَ الحَـدَمِ
لَـولا حُمـاةٌ لَهـا هَبّـوا لِنُصـرَتِها بِالسَيفِ ما انتَفَعَت بِالرِفقِ وَالرُحَمِ

لَـولا مَكـانٌ لِعيسـى عِنـدَ مُرسِـلِهِ ‎ وَحُرمَـةٌ وَجَبَـت لِلـروحِ فِي القِـدَمِ

لَسُمِّرَ البَدَنُ الطُهْرُ الشَريفُ عَلى ‎ لَـوحَينِ لَم يَخـشَ مُؤذيـهِ وَلَم يَجِـمِ

جَـلَّ المَسيحُ وَذاقَ الصَلبَ شانِئُهُ ‎ إِنَّ العِقـابَ بِقَـدرِ الـذَنبِ وَالجُـرُمِ

أَخـو النَـبِيِّ وَروحُ اللهِ فِي نُـزُلٍ ‎ فَـوقَ السَـماءِ وَدونَ العَـرشِ مُحتَـرَمِ

عَلَّمـتَهُمْ كُـلَّ شَـيءٍ يَجهَلـونَ بِـهِ ‎ حَـتّى القِتـالَ وَمـا فيـهِ مِـنَ الـذِّمَمِ

دَعَـوتَهُمْ لِجِهـادٍ فيـهِ سُـؤدُدُهُمْ ‎ وَالحَـربُ أُسُّ نِظـامِ الكَـونِ وَالأُمَـمِ

لَـولاهُ لَم نَـرَ لِلـدَولاتِ فِي زَمَـنٍ ‎ ما طـالَ مِـن عُمُـدٍ أَو قَـرَّ مِـن دُهُـمِ

تِلـكَ الشَـواهِدُ تَـترى كُـلَّ آونَـةٍ ‎ فِي الأَعصُرِ الغُرِّ لا فِي الأَعصُرِ الدُهُمِ

بِالأَمسِ مالَت عُروشٌ وَاعتَلَتْ سُرُرٌ ‎ لَـولا القَـذائِفُ لَم تَـثلَمْ وَلَم تَصُـمِ

أَشـياعُ عيسـى أَعَـدّوا كُـلَّ قاصِـمَةٍ ‎ وَلَم نُعِـدَّ سِـوى حـالاتِ مُنقَصِـمِ

مَهمـا دُعيتَ إِلى الهَيجاءِ قُمتَ لَها ‎ تَرمـي بِأُسْـدٍ وَيَرمـي اللهُ بِالـرُجُمِ

عَلـى لِوائِـكَ مِـنهُم كُـلُّ مُنـتَقِمٍ ‎ للهِ مُسـتَقتِلٍ فِي اللهِ مُعتَـزِمِ

مُسَـبِّحٍ لِلِقـاءِ اللهِ مُضـطَرِمٍ ‎ شَـوقًا عَلـى سـابِخٍ كَـالبَرقِ مُضـطَرِمِ

لَو صادَفَ الدَهرَ يَبغي نَقلَةً فَرَمى ‎ بِعَزمِـهِ فِي رِحـالِ الـدَهرِ لَم يَـرِمِ

بيضٌ مَفاليلُ مِن فِعلِ الحُروبِ بِهِمْ ‎ مِـن أَسـيُفِ اللهِ لا الهِندِيَّـةُ الخُـذُمُ

كَم فِي التُرابِ إِذا فَتَّشتَ عَن رَجُلٍ ‎ مَن ماتَ بِالعَهدِ أَو مَن ماتَ بِالقَسَمِ

لَـولا مَواهِـبُ فِي بَعـضِ الأَنامِ لَمـا ‎ تَفـاوَتَ النـاسُ فِي الأَقـدارِ وَالقِـيَمِ

شَـريعَةٌ لَـكَ فَجَّـرتَ العُقـولَ بِهـا ‎ عَـن زاخِـرٍ بِصُـنوفِ العِلـمِ مُلـتَطِمِ

يَلوحُ حَولَ سَنا التَوحيدِ جَوهَرُها ... كَالحَليِ لِلسَيفِ أَو كَالوَشيِ لِلعَلَمِ
غَرّاءُ حامَتْ عَلَيها أَنفُسٌ وَنُهًى ... وَمَن يَجِد سَلسَلاً مِن حِكمَةٍ يَحُمِ
نورُ السَبيلِ يُساسُ العالَمونَ بِها ... تَكَفَّلَتْ بِشَبابِ الدَهرِ وَالهَرَمِ
يَجري الزَمانُ وَأَحكامُ الزَمانِ عَلى ... حُكمٍ لَها نافِذٍ في الخَلقِ مُرتَسِمِ
لَمّا اعتَلَت دَولَةُ الإِسلامِ وَاتَّسَعَتْ ... مَشَتْ مَمالِكُهُ في نورِها التَّمَمِ
وَعَلَّمَتْ أُمَّةً بِالقَفرِ نازِلَةً ... رَعيَ القَياصِرِ بَعدَ الشاءِ وَالنَعَمِ
كَم شَيَّدَ المُصلِحونَ العامِلونَ بِها ... في الشَرقِ وَالغَربِ مُلكًا باذِخَ العِظَمِ
لِلعِلمِ وَالعَدلِ وَالتَمدينِ ما عَزَموا ... مِنَ الأُمورِ وَما شَدّوا مِنَ الحُزُمِ
سُرعانَ ما فَتَحوا الدُنيا لِمِلَّتِهِمْ ... وَأَنهَلوا الناسَ مِن سَلسالِها الشَبِمِ
ساروا عَلَيها هُداةَ الناسِ فَهيَ بِهِمْ ... إِلى الفَلاحِ طَريقٌ واضِحُ العَظَمِ
لا يَهدِمُ الدَهرُ رُكنًا شادَ عَدلُهُمُ ... وَحائِطُ البَغيِ إِن تَلمَسهُ يَنهَدِمِ
نالوا السَعادَةَ في الدارَينِ وَاجتَمَعوا ... عَلى عَميمٍ مِنَ الرُضوانِ مُقتَسَمِ
دَع عَنكَ روما وَآثينا وَما حَوَتا ... كُلُّ اليَواقيتِ في بَغدادَ وَالتُوَمِ
وَخَلِّ كِسرى وَإيوانًا يَدِلُّ بِهِ ... هَوى عَلى أَثَرِ النيرانِ وَالأَيُمِ
وَاترُك رَعمَسيسَ إِنَّ المُلكَ مَظهَرُهُ ... في نَهضَةِ العَدلِ لا في نَهضَةِ الهَرَمِ
دارُ الشَرائِعِ روما كُلَّما ذُكِرَتْ ... دارُ السَلامِ لَها أَلقَتْ يَدَ السَلَمِ
ما ضارَعَتها بَيانًا عِندَ مُلتَأَمٍ ... وَلا حَكَتها قَضاءً عِندَ مُختَصَمِ
وَلا احتَوَت في طِرازٍ مِن قَياصِرِها ... عَلى رَشيدٍ وَمَأمونٍ وَمُعتَصِمِ

مَـنِ الَّــذينَ إذا سـارَت كَتـائِبُهُمْ تَصَــرَّفوا بِحُــدودِ الأَرضِ وَالــتُخَمِ
وَيَجلِســـونَ إِلى عِلـــمٍ وَمَعرِفَـــةٍ فَــلا يُــدانَونَ في عَقــلٍ وَلا فَهَــمِ
يُطَـأطِئُ العُلَمـاءُ الهـامَ إِن نَبَســوا مِن هَيبَـةِ العِلـمِ لا مِن هَيبَـةِ الحُكُـمِ
وَيُمطَـرونَ فَمـا بِالأَرضِ مِــن مَحَــلٍ وَلا بِمَـن باتَ فَـوقَ الأَرضِ مِن عُـدُمِ
خَلائِــفُ اللهِ جَلّــوا عَــن مُوازَنَــةٍ فَــلا تَقيسَــنَّ أَمــلاكَ الــوَرى بِهِــمِ
مَــن في البَرِيَّــةِ كَالفــاروقِ مَعدَلَــةً وَكَـابنِ عَبـدِ العَزيـزِ الخاشِـعِ الحَشِـمِ
وَكَالإِمــامِ إِذا مــا فَــضَّ مُزدَحِمًــا بِمَــدمَعٍ في مَــآقي القَــومِ مُــزدَحِمِ
الزاخِـرُ العَـذبُ في عِلـمٍ وَفي أَدَبٍ وَالناصِـرُ النَـدبُ في حَـربٍ وَفي سَـلَمِ
أَو كَــابنِ عَفّــانَ وَالقُــرآنُ في يَــدِهِ يَحنـو عَلَيـهِ كَمـا تَحنـو عَلـى الفُطُـمِ
وَيَجمَــعُ الآيَ تَرتيبًــا وَيَنظُمُهــا عِقــدًا بِجيـدِ اللَيـالي غَـيرَ مُنفَصِـمِ
جُرحـانِ في كَبِـدِ الإِسـلامِ مـا اِلتَأَمـا جُـرحُ الشَـهيدِ وَجُـرحٌ بِالكِتـابِ دَمي
وَمـــا بَـــلاءُ أَبي بَكـــرٍ بِمُـــتَّهَمٍ بَعـدَ الجَلائِـلِ في الأَفعـالِ وَالخِـدَمِ
بِالحَـزمِ وَالعَـزمِ حـاطَ الـدينَ في مِحَـنٍ أَضَــلَّتِ الحُلــمَ مِــن كَهــلٍ وَمُحــتَلِمِ
وَحِـدنَ بِالراشِـدِ الفـاروقِ عَـن رُشـدٍ في المَـوتِ وَهـوَ يَقـينٌ غَـيرُ مُنـبَهِمِ
يُجــادِلُ القَــومَ مُســتَلًّا مُهَنَّــدَهُ في أَعظَـمِ الرُسـلِ قَـدرًا كَيـفَ لَم يَـدُمِ
لا تَعـذُلوهُ إِذا طـافَ الـذُهولُ بِـهِ ماتَ الحَبيـبُ فَضَـلَّ الصَـبُّ عَـن رَغَـمِ
يا رَبِّ صَـلِّ وَسَـلِّم مـا أَرَدتَ عَلـى نَزيـلِ عَرشِـكَ خَـيرِ الرُسـلِ كُلِّهِـمِ
إِلا بِـدَمعٍ مِـنَ الإِشـفاقِ مُنسَـجِمِ مُحــيِ اللَيــالي صَــلاةً لا يُقَطِّعُهــا

مُسَبِّحًا لَكَ جُنحَ اللَيلِ مُحتَمِلاً ضُرًّا مِنَ السُهدِ أَو ضُرًّا مِنَ الوَرَمِ
رَضِيَّةٌ نَفسُهُ لا تَشتَكي سَأَمًا وَما مَعَ الحُبِّ إِن أَخلَصتَ مِن سَأَمِ
وَصَلِّ رَبّي عَلى آلٍ لَهُ نُخَبٍ جَعَلتَ فيهِم لِواءَ البَيتِ وَالحَرَمِ
بيضُ الوُجوهِ وَوَجهُ الدَهرِ ذو حَلَكٍ شُمُّ الأُنوفِ وَأَنفُ الحادِثاتِ حَمي
وَأَهدِ خَيرَ صَلاةٍ مِنكَ أَربَعَةً في الصَحبِ صُحبَتُهُم مَرعِيَّةُ الحُرَمِ
الراكِبينَ إِذا نادى النَبِيُّ بِهِمْ ما هالَ مِن جَلَلٍ وَاشتَدَّ مِن عَمَمِ
الصابِرينَ وَنَفسُ الأَرضِ واجِفَةٌ الضاحِكينَ إِلى الأَخطارِ وَالقُحَمِ
يا رَبِّ هَبَّتْ شُعوبٌ مِن مَنِيَّتِها وَاستَيقَظَت أُمَمٌ مِن رَقدَةِ العَدَمِ
سَعدٌ وَنَحسٌ وَمُلكٌ أَنتَ مالِكُهُ تُديلُ مِن نِعَمٍ فيهِ وَمِن نِقَمِ
رَأى قَضاؤُكَ فينا رَأيَ حِكمَتِهِ أَكرِم بِوَجهِكَ مِن قاضٍ وَمُنتَقِمِ
فَالطُف لِأَجلِ رَسولِ العالَمينَ بِنا وَلا تَزِد قَومَهُ خَسفًا وَلا تُسِمِ
يا رَبِّ أَحسَنتَ بَدءَ المُسلِمينَ بِهِ فَتَمِّمِ الفَضلَ وَامنَح حُسنَ مُختَتَمِ

سألوني لِمَ لم أرثِ أبي

سَــــــــــأَلوني لِمَ لَمْ أَرثِ أَبي ... وَرِثاءُ الأَبِ دَيــــنٌ أَيُّ دَيــــن
أَيُّهــا اللُــوّامُ مــا أَظلَمَكُــم ... أَينَ لِي العَقلُ الَّذي يُسعِدُ أَين
يا أَبي مـــا أَنـــتَ في ذا أَوَّلٌ ... كُـلُّ نَفسٍ لِلمَنـايا فَـرضُ عَـين
هَلَكَـــت قَبلَـــكَ ناسٌ وَقُـــرى ... وَنَعـى النـاعونَ خَـيرَ الثِقَلَـين
غايَـةُ المَـرءِ وَإِن طـالَ المَـدى ... آخِــذٌ يَأخُــذُهُ بِالأَصــغَرَين
وَطَبيـــبٌ يَتَـــوَلّى عـــاجِزاً ... نافِضاً مِـن طِبِّـهُ خُفَّـي حُنَـين
إِنَّ لِلمَــوتِ يَــداً إِن ضَـــرَبَت ... أَوشَكَت تَصدَعُ شَمـلَ الفَرقَـدَين
تَنفُــذُ الجَــوَّ عَلــى عِقبانِــهِ ... وَتُلاقـي اللَيـثَ بَـينَ الجَبَلَـين
وَتَحُــطُّ الفَــرخَ مِــن أَيكَتِــهِ ... وَتَنــالُ البَبَّغــا في المِئَتَـــين
أَنا مَــن مــاتَ وَمَــن مــاتَ أَنا ... لَقِـيَ المَـوتَ كِـلانا مَـرَّتَين
نَحــنُ كُنّــا مُهجَــةً في بَــدَنٍ ... ثُمَّ صِــرنا مُهجَــةً في بَــدَنَين
ثُمَّ عُــدنا مُهجَــةً في بَــدَنٍ ... ثُمَّ نُلقــى جُثَّــةً في كَفَنَـــين
ثُمَّ نَحيــا في عَلِــيٍّ بَعــدَنا ... وَبِــهِ نُبعَــثُ أولى البِعثَتَـــين
اِنظُـرِ الكَـونَ وَقُـل في وَصـفِهِ ... كُـلُّ هَـذا أَصـلُهُ مِـن أَبَـوَين
فَـإِذا مـا قيـلَ مـا أَصـلُهُما ... قُـل هُمـا الرَحمَـةُ في مَـرحَمَتَين
فَقَـــدا الجَنَّـــةَ في إِيجـــادِنا ... وَنَعِمنـــا مِنهُمـــا في جَنَّتَـــين

وَهُمـا العُـذرُ إِذا مـا أُغضِـبا وَهُمـا الصَـفحُ لَنـا مُستَرضِـيَين
لَيـتَ شِـعري أَيُّ حَـيٍّ لَم يَـدِن بِالَّـذي دانا بِـهِ مُبتَـدِأَين
وَقَـفَ اللهُ بِنـا حَيـثُ هُمـا وَأَمـاتَ الرُسـلَ إِلّا الوالِـدَين
مـا أَبي إِلّا أَخٌ فارَقتُـهُ وُدُّهُ الصِـدقُ وَوُدُّ النـاسِ مَـين
طالَمـا قُمنـا إِلى مائِـدَةٍ كانَـتِ الكِسـرَةُ فيهـا كِسـرَتَين
وَشَـرِبنا مِـن إِناءٍ واحِـدٍ وَغَسَـلنا بَعـدَ ذا فيـهِ اليَـدَين
وَتَمَشَّـينا يَـدي في يَـدِهِ مَـن رَآنا قـالَ عَنّـا أَخَـوَين
نَظَـرَ الـدَهرُ إِلَينـا نَظـرَةً سَـوَّتِ الشَـرَّ فَكانَـت نَظـرَتَين
يا أَبي وَالمَـوتُ كَـأسٌ مُـرَّةٌ لا تَـذوقُ الـنَفسُ مِنهـا مَـرَّتَين
كَيـفَ كانَـت سـاعَةٌ قَضَّـيتَها كُـلُّ شَـيءٍ قَبلَهـا أَو بَعـدُ هَـين
أَشَـرِبتَ المَـوتَ فيهـا جُرعَـةً أَم شَـرِبتَ المَـوتَ فيها جُـرعَتَين
لا تَخَـف بَعـدَكَ حُـزناً أَو بُكـاً جَمَـدَت مِـنّي وَمِنـكَ اليَـومَ عَـين
أَنـتَ قَـد عَلَّمتَـني تَـركَ الأَسـى كُـلُّ زَيـنٍ مُنتَهـاهُ المَـوتُ شَـين
لَيـتَ شِـعري هَـل لَنـا أَن نَلتَقـي مَـرَّةً أَم ذا اِفـتِراقُ المَلَـوَين
وَإِذا مُـتُّ وَأودِعـتُ الثَـرى أَنَلقّـى حُفـرَةً أَو حُفـرَتَين

في رثاء تولُستويُ

تولُستويُ تُجري آيَةُ العِلمِ دَمعَها
عَلَيكَ وَيَبكي بائِسٌ وَفَقيرُ

وَشَعبٌ ضَعيفُ الرُكنِ زالَ نَصيرُهُ
وَما كُلُّ يَومٍ لِلضَعيفِ نَصيرُ

وَيَندُبُ فَلّاحونَ أَنتَ مَنارُهُم
وَأَنتَ سِراجٌ غَيَّبوهُ مُنيرُ

يُعانونَ في الأَكواخِ ظُلماً وَظُلمَةً
وَلا يَملُكونَ البَثَّ وَهوَ يَسيرُ

تَطوفُ كَعيسى بِالحَنانِ وَبِالرِضى
عَلَيهِم وَتَغشى دورَهُم وَتَزورُ

وَيَأسى عَلَيكَ الدينُ إِذ لَكَ لُبُّهُ
وَلِلخادِمينَ الناقِمينَ قُشورُ

أَيَكفُرُ بِالإِنجيلِ مَن تِلكَ كُتبُهُ
أَناجيلُ مِنها مُنذِرٌ وَبَشيرُ

وَيَبكيكَ إِلفٌ فَوقَ لَيلى نَدامَةً
غَداةَ مَشى بِالعامِرِيِّ سَريرُ

تَناوَلَ ناعيكَ البِلادَ كَأَنَّهُ
يَراعٌ لَهُ في راحَتَيكَ صَريرُ

وَقيلَ تَوَلّى الشَيخُ في الأَرضِ هائِماً
وَقيلَ بِدَيرِ الراهِباتِ أَسيرُ

وَقيلَ قَضى لَم يُغنِ عَنهُ طَبيبُهُ
وَلِلطِبِّ مَن بَطشِ القَضاءِ عَذيرُ

إِذ أَنتَ جاوَرتَ المَعَرِّيَّ في الثَرى
وَجاوَرِ رَضوى في التُرابِ ثَبيرُ

وَأَقبَلَ جَمعُ الخالِدينَ عَلَيكُما
وَغالى بِمِقدارِ النَظيرِ نَظيرُ

جَماجِمُ تَحتَ الأَرضِ عَطَّرَها شَذىً
جَناهُنَّ مِسكٌ فَوقَها وَعَبيرُ

بِهِنَّ يُباهي بَطنُ حَوّاءَ وَاِحتَوى
عَلَيهُنَّ بَطنُ الأَرضِ وَهوَ فَخورُ

فَقُل يا حَكيمَ الدَهرِ حَدِّث عَنِ البِلى
فَأَنتَ عَليمٌ بِالأُمورِ خَبيرُ

أَحَطتَ مِنَ المَوتى قَديماً وَحادِثاً
بِما لَم يُحَصِّل مُنكِرٌ وَنَكيرُ

طَوانا الَّذي يَطوي السَمَواتِ في غَدٍ وَيَنشُـرُ بَعـدَ الطَـيِّ وَهـوَ قَـديرُ
تَقادَمَ عَهدانا عَلى المَوتِ وَاِستَوى طَويـلُ زَمـانٍ في البِلـى وَقَصـيرُ
كَأَن لَم تَضِق بِالأَمسِ عِنّي كَنيسَةٌ وَلَم يُـؤوِني دَيـرٌ هُنـاكَ طَهـورُ
أَرى راحَـةً بَـينَ الجَنـادِلِ وَالحَصـى وَكُـلُّ فِـراشٍ قَـد أَراحَ وَثـيرُ
نَظَـرنا بِنـورِ المَـوتِ كُـلَّ حَقيقَـة وَكُنّـا كِـلانا في الحَيـاةِ ضَـريرُ
إِلَيـكَ اِعـتِرافي لا لِقَـسٍ وَكـاهِنٍ وَنَجـوايَ بَعـدَ اللهِ وَهـوَ غَفـورُ
فَزُهـدُكَ لَم يُنكِرهُ في الأَرضِ عـارِفٌ وَلا مُتَعـالٍ في السَـماءِ كَبـيرُ
بَيـانٌ يُشَـمُّ الـوَحيُ مِـن نَفَحاتِـهِ وَعِلـمٌ كَعِلـمِ الأَنبِيـاءِ غَزيـرُ
سَـلَكتُ سَـبيلَ المُترَفـينَ وَلَـذَّ لي بَنـونَ وَمـالٌ وَالحَيـاةُ غُـرورُ
أَداةُ شِتائي الـدِفءُ في ظِلِّ شاهِقٍ وَعُـدَّةُ صَـيفي جَنَّـةٌ وَغَـديرُ
وَمُتِّعـتُ بِالـدُنيا ثَمـانينَ حِجَّـةً. وَنَضَّـرَ أَيّامـي غِـنىً وَحُبـورُ
وَذِكرٌ كَضَوءِ الشَـمسِ في كُلِّ بَلدَةٍ وَلا حَظَّ مِثلُ الشَمسِ حينَ تَسيرُ
فَمـا راعَـني إِلّا عَـذارى أَجَـرنَني وَرُبَّ ضَـعيفٍ تَحتَمـي فَيُجـيرُ
أَرَدتُ جِـوارَ اللهِ وَالعُمـرُ مُـنقَضٍ وَجاوَرتُـهُ في العُمـرِ وَهـوَ نَضـيرُ
صِبـاً وَنَعـيمٌ بَـينَ أَهـلٍ وَمَـوطِنٍ وَلَـذّاتُ دُنيـا كُـلُّ ذاكَ نَـزورُ
بِهِنَّ وَما يَدرينَ ما الذَنبُ خَشيَةٌ وَمِن عَجَبٍ تَخشى الخَطيئَةَ حورُ
أَوانِسُ في داجٍ مِنَ اللَيلِ موحِشٍ وَلِلَّهِ أُنـسٌ في القُلـوبِ وَنـورُ
وَأَشـبَهُ طُهـرٍ في النِسـاءِ بِمَـريَمٍ فَتاةٌ عَلى نَهجِ المَسيحِ تَسيرُ

تُسائِلُني هَل غَيَّرَ الناسُ ما بِهِم وَهَل حَدَثَت غَيرَ الأُمورِ أُمورُ
وَهَل آثَرَ الإِحسانَ وَالرِفقَ عالَمٌ دَواعي الأَذى وَالشَرِّ فيهِ كَثيرُ
وَهَل سَلَكوا سُبلَ المَحَبَّةِ بَينَهُم كَما يَتَصافى أُسرَةٌ وَعَشيرُ
وَهَل آنَ مِن أَهلِ الكِتابِ تَسامُحٌ خَليقٌ بِآدابِ الكِتابِ جَديرُ
وَهَل عالَجَ الأَحياءُ بُؤساً وَشِقوَةً وَقَلَّ فَسادٌ بَينَهُم وَشُرورُ
قُمِ اِنظُر وَأَنتَ المالِئُ الأَرضَ حِكمَةً أَأَجدى نَظيمٌ أَم أَفادَ نَثيرُ
أُناسٌ كَما تَدري وَدُنيا بِحالِها وَدَهرٌ رَخِيٌّ تارَةً وَعَسيرُ
وَأَحوالُ خَلقٍ غابِرٍ مُتَجَدِّدٍ تَشابَهَ فيها أَوَّلٌ وَأَخيرُ
تَمُرُّ تِباعاً في الحَياةِ كَأَنَّها مَلاعِبُ لا تُرخى لَهُنَّ سُتورُ
وَحِرصٌ عَلى الدُنيا وَمَيلٌ مَعَ الهَوى وَغِشٌّ وَإِفكٌ في الحَياةِ وَزورُ
وَقامَ مَقامَ الفَردِ في كُلِّ أُمَّةٍ عَلى الحُكمِ جَمٌّ يَستَبِدُّ غَفيرُ
وَحُوِّرَ قَولُ الناسِ مَولىً وَعَبدُهُ إِلى قَولِهِم مُستَأجِرٌ وَأَجيرُ
وَأَضحى نُفوذُ المالِ لا أَمرَ في الوَرى وَلا نَهيَ إِلّا ما يَرى وَيُشيرُ
تُساسُ حُكوماتٌ بِهِ وَمَمالِكٌ وَيُذعِنُ أَقيالٌ لَهُ وَصُدورُ
وَعَصرٌ بَنوهُ في السِلاحِ وَحِرصُهُ عَلى السِلمِ يُجري ذِكرَهُ وَيُديرُ
وَمِن عَجَبٍ في ظِلِّها وَهوَ وارِفٌ يُصادِفُ شَعباً آمِناً فَيُغيرُ
وَيَأخُذُ مِن قوتِ الفَقيرِ وَكَسبِهِ وَيُؤوي جُيوشاً كَالحَصى وَيَميرُ
وَلَمّا اِستَقَلَّ البَرَّ وَالبَحرَ مَذهَباً تَعَلَّقَ أَسبابَ السَماءِ يَطيرُ

منظر طلوع البدر

في صيف سنة ١٩١٠ كان الشاعر بالبحر عائماً من الأستانة، وكان البدر يشرق ذات ليلة، فاقترح عليه زملاءه في السفر أن يصف هذا المشهد البديع، فنظم قصيدة في مطلعها هذه الأبيات:

مَلِـكَ السـماءِ بَهَـرتَ في الأنـوارِ ... ففـداك كـلُّ مُتَـوّجٍ مـن سـاري
لمـا طلعـتَ علـى الميـاهِ تُنيرهـا ... سـكنتْ وقـد كانـتْ بغـير قَـرَارِ
وزهـتْ لناظرِهـا السـماءُ وقَـرَّ مـا ... في البحـر مـن عُبُـبٍ[1] ومـن تَيَّـار
وأَهَـلَّ للهِ السُّـراةُ وأزلَفُـوا ... لـك في الكمـالِ تحيـةَ الإكبـار
وتأملـوك فكـل جارحـةٍ لهـم ... عَـيْنٌ تُسـامر نورَهـا وتُسـاري
والبـدر منـكَ علـى العـوالِمِ يَجْتَلِـي ... بِشْـرَ الوجـوهِ وزَحْمَـةَ الأَبْصـار
مُتقَـدِمٌ في النـور محجـوبٌ بـه ... مُـوفٍ علـى الآفـاق بالأسْـفار
يا دُرَّةَ الغَـوَّاصِ أخْـرجَ ظـافراً ... يُمنـاه يَجْلوهـا علـى النُّظـار
مـتهلِّلاً في المـاء أبْـدَى نصـفَه ... يَسْـمُو بهـا والنصـف كـاسٍ عـار
وَافِي بـك الأفـقُ السَّـماء فأسـفرتْ ... عـن قُفْـلِ مـاسٍ في سِـوَار نُضَـار
ونَهضتَ يَزْهُـو الكـونُ منكَ بمنظرٍ ... ضـاحٍ ويَحمـلُ منـك تاجَ فَخَـار
المـاءُ والآفـاقُ حولَـكَ فِضَّـةٌ ... والشُّـهْبُ دينـارٌ لـدى دِينـار

---

[1] الماء المتدفق

والفُلْكُ مُشرِقة الجوانبِ في الدُّجى		يَبْــدو لهــا ذَيــلٌ مــن الأنــوار
بينْــا تَخطّــرُ في لجُــينٍ مــائجٍ		إذ تَنْثَــني في عَسْــجدٍ زَخّــار
وكأَنَّهــا والمــوجُ منــتظمٌ وقــد		أوْفيــتَ ثمَّ دَنَــوْت كالمُحتــار
غْيــداءُ لاهيــةٌ تَخُــطُّ لأغيــدٍ		شــعراً ليقــرأَه وأنــتَ القــاري

رحلة إلى الأندلس

نظمها الشاعر في منفاه أيام الحرب

اخـــتلافُ النَّهـــار والليـــل يُنســـي   أذكـــرا لي الصَّـــبا وأيامَ أنســـي
وصِـــفا لي مُـــلاوةً[1] مـــن شـــبابٍ   صُـــوِّرت مـــن تصـــوّرات ومَـــسّ
عصـفت كالصَّـبا[2] اللّعـوبِ ومـرّت   سِـــنةً[3] حُلْـــوَةً ولـــذّةَ خَلْـــسِ[4]
وسـلا مصـرَ هـل سـلا القلـبُ عنهـا   أو أسـا[5] جُرحَـه الزمـان المؤسـي
كلمـــا مـــرّت الليـــالي عليـــهِ   رقّ والعهـــدُ في الليـــالي تُقسّـــى[6]
مُســـتَطار[7] إذا البـــواخر رَنّـــت[8]   أولَ الليـلِ أو عـوتْ بعـد جَـرس[9]
راهـب[10] في الضـلوع للسـفن فَطْـن[11]   كلّمـــا ثُـــرْنَ شـــاعَهن بـــنَقس[12]

---

(1) الملاوة: البرهة من الدهر
(2) الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش
(3) السنة: النعاس
(4) خلس الشيء: أخذه في نهزة ومخاتلة
(5) أسا الجرح: داواه
(6) قساه تقسية: أي صيره قاسياً
(7) مستطار، استطير الشيء: طير وانتشر
(8) رن: أي صاح ورفع صوته بالبكاء
(9) الجرس: الصوت
(10) الراهب هو من تبتل لله واعتزل عن الناس إلى الدير طلباً للعبادة، ويشبه به القلب
(11) فطن للشيء: أي حذق به
(12) ضرب النواقيس

يا ابنـــةَ الـــيمّ ١ مـــا أبـــوكِ بخيـــلٌ — مـــا لـــهُ مولَعـــاً بمنـــعٍ وحـــبس

أحـــــرامٌ علـــــى بلابلـــــه الـــــدَوْ — حُ حـــلالٌ للطـــير مـــن كـــل ٢ جِـــنس

كـــــلُّ دار أحـــــقّ بالأهـــــل إلاّ — في خبيـــثٍ مـــن المـــذاهب رِجْـــس ٣

نَفَســـي ٤ مِرْجَـــلٌ وقلـــبي شِـــراعٌ — بهمـــا في الـــدموع ســـيري وأرســـي

واجعلـــي وجهَـــك "الفنـــارَ" ومجـــرا — كِ يـــدَ"الثغر" بين"رمـــل" و"مكـــس"

وطـــني لـــو شُـــغِلْتُ بالخُلـــد عنـــه — نازعتـــني إليـــه في الخلـــد نفســـي

وهفـــا ٥ بالفـــؤاد في سلســـبيلٍ — ظمـــأ للســـواد ٦ مـــن "عـــين شمـــس"

شَـــهِد اللهُ لم يَغِـــب عـــن جفـــوني — شخصُـــه ســـاعةً ولم يَخْـــلُ حِسّـــي

يُصـــبح الفكـــرُ و"المســـلّة" ناد — يـــه و "بالسَّـــرحة الزكيّـــة" يُمســـي

وكـــأني أرى الجزيـــرةَ أيكـــاً ٧ — نَغَمـــتْ طـــيره بأرخـــم جَـــرس ٨

هـــي "بلقـــيسُ" في الخمائـــل صَـــرْحٌ ٩ — مـــن عبـــابٍ ١٠ وصـــاحبٌ غـــيرُ نِكـــس ١١

---

(1) اليم: البحر

(2) الدوح: جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة

(3) الرجس: المأثم

(4) المرجل القدر من الحجارة والنحاس

(5) هنا أي أسرع

(6) السواد: ما حول البلدة من القرى

(7) الأيك: الشجر الكثير الملتف، وقيل الغيضة تنبت الدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر

(8) الجرس: الصوت أو خفية

(9) الصرح القصر وكل بناء عال

(10) العباب: الخوصة، والعباب معظم السيل، والعباب: ارتفاعه وكثرته

(11) النكس: الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه

حسـبها أن تكـونَ للنيـل عِرسـاً　　قبلهـا لم يُجَـنَّ يومـاً بِعـرس
لبسـتْ بالأصـيل حُلَّـةَ وشـيٍ　　بـين صـنعاء[1] في الثيـاب وقَـس[2]
قـدَّها النيـلُ فاسـتحتْ فتـوارتْ　　منـه بالجسـرِ بـين عُـرْيٍ ولُـبس

وأرى النيلَ "كالعقيق"[3] بواديه وإن كان كوثرَ المتحسيّ[4]

أبـنُ مـاءِ السـماءِ ذو الموكـب الفخـم　　الـذي يَحسُـر العيـونَ ويُخسـي[5]
لا تـرى في ركابـه غـير مُـثْنٍ　　بجميـلٍ وشـاكرٍ فضـلَ غـرس
وأرى "الجيـزة" الحزينـة ثَكْلَـى　　لم تُفـقْ بعـد مـن مناحة"رمسـي"[6]
كثـرتْ ضـجةَ السـواقي عليـه　　وسـؤالَ الـيراع[7] عنـه بِهَمْـس
وقيـامَ النخيـل ضـفّرن شـعراً　　وتجـردن غـير طَـوقٍ وسَـلْس[8]
وكـأن الأهـرام ميـزانُ فرعـو　　ن بيـومٍ علـى الجبـابر نحـس
أو قنـاطيره تأنَّـقَ فيهـا　　ألـفُ جابٍ[9] وألف صاحب مَكْس[10]
روْعـةٌ في الضـحى ملاعِـبُ جـنٍّ　　حين يغشَى الـدّجى حماها ويُغسي[1]

(1) صنعاء: قصبة بلاد اليمن، وقرية بباب دمشق
(2) ثوب قسى وتكسر قافه منسوب إلى قس وهو موضع بين العريش والفرماء من أرض مصر
(3) العقيق: كل سيل شقه ماء السيل، ويعني بالعقيق هنا عقيق المدينة وهو معروف
(4) المتحسى أي الشارب
(5) يخسي من خسا البصر كل واعيا
(6) رمسي: أي رمسيسس
(7) اليراع: القصب
(8) سلست النخلة سلساً: ذهب كربها
(9) جاب: الجابي الذي يجمع الخراج
(10) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية

ورهـــينُ "الرمـــال" أفطـــسُ إلاَّ أنـــه صُـنْع جنَّــة غــير فُطْـــس[2]

تتجلَّـــى حقيقـــةُ النـــاس فيـــه سَــبعُ الخَلْــقُ في أســارير إنســي

لعـــبَ الـــدهرُ في ثـــراه صـــبياً والليـــالي كواعبــاً غـــير عُـــنْس[3]

رِكِبت صُيّدُ[4] المقادير عينيهِ لنَقْدٍ ومِخْلبيه لفَرس[5]

فأصــابت بـــه الممالـــكَ "كســرى" "وهِـــرَقلا" "والعبقـــريّ الفرنســـي"

يا فـــؤادي لكـــل أمـــرٍ قـــرارٌ فيـــه يبـــدو وينجلـــي بعـــد لُـــبْس

عَقَلَـــتْ[6] لجُـــةُ الأمـــورِ عقـــولاً كانـتْ الحـوتَ طـولَ سـبحٍ وغَـسّ[7]

غَرِقــتْ حيــث لا يُصــاخُ بطــافٍ أو غريـــقٍ ولا يُصـــاخ لِحِـــسّ

فَلَـــكٌ يَكسِـــف الشـــموسَ نهـــاراً ويســـومُ البـــدورَ ليلـــةَ وَكْـــس[8]

ومواقيـــــت للأمـــــور إذا مـــــا بَلغتْهـــا الأمـــورُ صـــارتْ لِعَكْـــس

دولٌ كالرجـــــــال مرتهنـــــــاتٌ بقيـــامٍ مـــن الجـــدود وتَعْـــس

وليـــالٍ مـــن كـــل ذات سِـــوارٌ لطَمــت كــلَّ ربّ "رومٍ" "وفُـــرْس"

ســـدّدت بالهـــلال قوســـاً وســـلّتْ خنجـــراً ينفـــذان مـــن كـــل تُـــرس

---

(1) يغسي: يظلم

(2) فطس الرجل: تطأمنت قصبة أنفه وانتشرت في وجهه فهو أفطس، جمع فطس

(3) عنس جمع عانس وهي الجارية التي طال مكثها في أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج

(4) صيد: واحدها صائد

(5) الفرس: الافتراس

(6) عقلت: قيدت

(7) غس في البلاد غساً: دخل فيها ومضى قدما

(8) ليلة الوكس: أي ليلة دخول القمر في نجم منحوس

حكمتْ في القرون "خوفو" و"دارا" وعفت [1] "وائلا" وألوت "بعَبس"

أين "مروانُ" في المشارق عرشٌ أمويٌّ وفي المغارب كرسي [2]

سَقِمتْ شمسهم فردَّ عليها نورَها كلُّ ثاقب الرأي نَطْس [3]

ثم غابتْ وكل شمسٍ سوى هاتيك تَبْلَى وتَنْطوي تحت رمس [4]

وعظ "البحتريَّ" إيوانُ "كسرى" وشفتني [5] القصورُ من "عبد شمس"

رُبّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرْفي وبِساطٍ طويتُ والريحُ عَنْسي [6]

أنْظم الشرقَ في "الجزيرة" بالغرب وأطوي البلادَ حَزْناً [7] لِدَهس [8]

في ديارٍ من الخَلائف [9] دَرسٍ ومنارٍ [10] من الطوائف طَمْس

وربىً كالجنان في كنفِ الزيتون خضرٍ وفي ذرا الكرم طُلْس [11]

لم يَرُعْني سوى ثَرىً قُرْطبيٍّ لمستْ فيه عِبْرَةَ الدهر خَمسي

يا وقى اللهُ ما أُصبّح منه وسَقَى صَفوةَ الحيا ما أُمسّي

---

(1) عفت: درست

(2) كرسي: أي عرش

(3) نطس أي عالم

(4) الرمس: القبر

(5) شفتني: أي وعظتني هي أيضاً وعظاً شافياً

(6) العنس: الناقة

(7) الحزن ما غلظ من الأرض

(8) الدهس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب

(9) الخلائف جمع خليفة

(10) المنار: العلم يجعل للطريق

(11) طلس: واحدها أطلس وهو ما لونه أسود تخالطه غبرة

قريةٌ لا تُعدّ في الأرض كانت ... تُمسك الأرضَ أن تَميدَ وتُرْسي
غَشِيت ساحلَ المحيط وغطَّتْ ... لجُّةَ الروم من شراعٍ وقَلْسِ[1]
رَكِب الدهرُ خاطري في ثراها ... فأتى ذلك الحِمَى بعد حَدْس[2]
فتجلَّت ليَ القصورُ ومن فيها من العزّ في منازلَ قُعْس[3]

ما ضَفتْ[4] قط في الملوكِ على نذ ... ل المعالي ولا تردّت بنَجْس
وكأني بلغتُ للعلمِ بيتاً ... فيه مالُ العقول من كل دَرس
قُدُساً في البلاد شرقاً وغرباً ... حجّه القومُ من فقيهٍ وقَس
وعلى الجمعةِ الجلالةُ و"النا ... صرُ" نورُ الخميس[5] تحت الدَّرفس[6]
يُنزل التاجَ عن مفارقِ "دونٍ" ... ويُحَلِّى به جبينَ "البرنس"
سِنةٌ من كرىً وطيفُ أمانٍ ... وصحا القلبُ من ضلال وهَجْس[7]
وإذا الدارُ ما بها من أنيسٍ ... وإذا القومُ ما لهم من مُحِسّ[8]
ورقيقٍ من البيوت عتيقٍ ... جاوز الألفَ غيرَ مذموم حَرْس[9]

---

(١) القلس: حبل السفينة
(٢) الحدس: السير على غير هداية
(٣) القعس: العز الثابت
(٤) ضفت: من ضفا: سبغ واتسع
(٥) الخميس: الجيش
(6) الدرفس: العلم الكبير
(7) الهجس: كل ما وقع في خلد الإنسان
(8) محس: أي حاس بهم
(9) الحرس: الدهر

أثـــــرٌ مـــــن "مُحَمّد" وتُـــــراثٌ صـار "للـروح" ذي الـولاء الأمَـس١

بَلَـــغَ الـــنَّجْمَ ذِرْوَةً وتنـــاهى بين "ثَهْلان"٢ في الأساس و"قُدس"٣

مَرْمَـــرٌ تَسْـــبَحُ النـــواظرُ فيـــه ويَطُـــول المـــدَى عليهـــا فتُرسِـــي

وسَـــوَارٍ٤ كأنهـــا في اســـتواءٍ أَلِفـاَتُ الـوزير٥ في عَـرض طِـرْس

فَـترَةُ الـدهر قـد كسـت سَـطْرَيْها٦ مـا اكتسى الهُـدْبُ مـن فُتـورٍ ونَعْـس

ويحهـــا كـــم تزيّنـــت لعلـــيمٍ واحـد الـدهر واسـتعدت لخمـس٧

وكأن الرَّفِيفَ٨ في مسرح العين مِلاءٌ مُدَنَّرات الدِمَقْس٩

وكـــأن الآيات في جانبيــــه يَتَنـــزّلن مـــن معـــارِج١٠ قُـــدْس

مِنـبرٌ تحـت "مُنـذرٍ"١١ مـن جـلالٍ لم يــزلْ يكتســيه أو تحــتَ "قُــسّ"

ومكـــانُ الكتـــابِ يُغريـــك رُيَّا وَرْده١٢ غائبـــاً. فتـــدنو لِلَمـــس

---

(1) الأمس: الأقرب

(2) ثهلان: جبل بالعالية

(3) قدس: جبل عظيم بنجد

(4) السوار: واحدها سارية وهي الاسطوانة "العمود"

(5) الوزير: يعني به ابن مقلة المشهور بجودة الخط

(6) سطريها: صفوفها

(7) ويحها كم تزينت لعليم: أي لمدرس عالم، واستعدت لإقامة الصلوات الخمس

(8) الرفيف: السقف

(9) الدمقس: الحرير

(10) المعارج: واحدها معرج وهو السلم والمصعد

(11) منذر: هو قاضي الأندلس منذر المعروف بالعدل والزهد

(12) ريا ورده: أي رائحة ورده

صَـنْعةُ "الـداخل"[1] المبـارك في الغَـر ب وآلٍ لـــه ميـــامينَ شُمْــــس[2]

من "لحمراء" جُلّلت بغُبار الدهر كالجُرح بين بُرءٍ ونُكس

كسـنَا الـبرق لـو محـا الضـوءُ لحظـاً لمحتهـا العيــونُ مــن طــول قَــبْس

حِصْن "غرناطة" ودارُ بني "الأحمر" من غافلٍ ويقظان نَدْس[3]

جلَّــل الــثلجُ دونهــا رأسَ "شِــيرى" فبــدا منـــه في عصـــائبَ بِـــرس[4]

سَــــرْمدٌ شــــيْبُه ولم أر شــــيباً قبلـــه يُرجـــئ البقـــاءَ ويُنســـي

مشت الحادثاتُ في غُرَف "الحمراء" مَشْى النعِيّ في دار عُرْس

هتكــتْ عــزَّةَ الحجــاب وفضّــت سُــدَّةَ البــاب مــن سمــير وأُنــس

عَرَصَـــاتٌ تخلَّـــت الخيـــلُ عنهـــا واســتراحت مــن احــتراسٍ وعَــسّ[5]

ومَغَـــانٍ علـــى الليـــالي وِضَـــاءٌ لم تَجِـــدْ للعشـــيَّ تَكـــرارَ مَـــسّ

لا تــرى غــيرَ وافــدين علــى التــا ريــخ ســاعِينَ في خشــوع ونَكْــس

نقَّلـــوا الطَّـــرفَ في نضـــارةِ آسٍ مـــن نقـــوشٍ وفي عُصـــارة وَرْس[6]

وقِبـــابٍ مـــن لا زَوَرْدٍ وتِـــبْرٍ كَــالرُّبى الشُّــمَّ بــين ظِــلٍّ وشمــس

---

(1) الداخل: هو عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام مؤسس الدولة الأموية والأندلس

(2) الشمس: الأباة

(3) الندس: الفهم

(4) عصائب برس: أي بيض كالقطن

(5) العس: احتراس الليل

(6) الورس: نبات أحمر اللون

وخطـــوطٍ تكفَّلـــت للمعـــاني ولألفاظهـــا بأزيـــنِ لـــبْس
وتـــرى مجلـــس السّـــباعِ خَـــلاءً مُقفـــر القـــاعِ مـــن ظبـــاءٍ وخُـــنْس
لا "الثُّـــريَّا" ولا جَـــواري الثـــريَّا يتنَـــزَّلْنَ فيـــه أقمـــارَ إِنْـــس
مَرْمَـــرٌ قامـــت الأســـودُ عليـــه كَلَّـــةَ الظُّفْـــر لَيّنـــات المَجَـــس
تنثُـــر المـــاءَ في الحِيـــاض جمـــاناً يَتَنَـــزّى علـــى ترائـــبَ مُلْـــس
آخـــرَ العهـــد بالجزيـــرة كانـــت بَعْـــدَ عَـــرْكٍ مـــن الزمـــان وضَـــرْس [1]
فتراهـــا، تقـــولُ: رايـــةُ جـــيشٍ بادَ بالأمـــس بـــين أســـرٍ وَحَـــسّ [2]
ومفاتيحُهـــا مقاليـــدُ مُلْـــكٍ باعهـــا الـــوارثُ المُضِـــيعُ بـــبخْس
خـــرج القـــومُ في كتائـــبَ صُـــمٍّ عـــن حِفَـــاظٍ [3] كموكـــب الـــدفنِ خُـــرْس
ركِبـــوا بالبحـــار نعشـــاً وكانـــت تحـــت آبائهـــم هـــي العـــرشُ أمـــس
ربّ بانٍ لهـــادمٍ وجَمُـــوع لمشِـــتٍّ ومحســـن لمُخِـــسّ
إمـــرة النـــاس هِمَّـــةٌ لا تَأتّى لجبـــانٍ ولا تســـنَّى لجِـــبس [4]
وإذا مـــا أصـــاب بنيـــانَ قـــومٍ وَهْـــيُ خُلْـــق فإنـــه وَهْـــيُ أسّ
يا ديـاراً نزلـــتُ كالخُلـــد ظِـــلاً وجَـــنىً دانيـــاً وسَلْسَـــال أُنـــس
محسِناتِ الفصول لا ناجِرٌ [5] فيها بقيظٍ ولا جُمَادي بِقَرس [1]

---

(1) الضرس: من ضرس الزمان القوم اشتد عليهم
(2) الحس: القتل
(3) الحفاظ: الذب عن المحارم
(4) الجبس: الجبان
(5) شهر رجب أو صفر أو كل شهر من شهور الصيف

لا تجِـسّ العيـونُ فـوق رُبَاهـا ... غـيرَ حورِحُـوَّ[2] المراشـف[3] لُعْـس[4]

كُسِـيَت أفرُخـي بِظلـك رِيشـاً ... وَرَبا في رباك واشـتدَّ غرسـي

هـم بنـو مصـر لا الجميـلُ لـديهم ... بمُضَـاعٍ ولا الصـنيعُ بمَنسـي

مـن لسـانٍ علـى ثنائـك وقْـفٍ ... وَجَنَـانٍ علـى ولائـك حَـبْس

حسـبهم هـذه الطلـولُ عِظـاتٍ ... مـن جديـد علـى الـدهور ودَرْس

وإذا فاتـك التفـات إلى المـا ... ضـي فقـد غـاب عنـك وجـهُ التأسّـي

---

(1) بقرس: ببارد

(2) حو المراشف أي سمر الشفاء وهو مستملح من النساء

(3) المراشف: الشفاه

(4) اللعس: سواد مستحسن في الشفة

عظات وخواطر

هذه الأبيات من قصيدة نظمها الشاعر ذكرى للمولد النبوي الشريف

سـلوا قلـبي غـداةَ سـلا وتابا ... لعـلَّ علـى الجمـالِ لـه عِتَـابا
ويُسـألُ في الحـوادثِ ذو صـوابٍ ... فهـل تَـركَ الجمـالُ لـه صـوابا؟
وكنـتُ إذا سـألتُ القلـبَ يومـاً ... تـولَّى الـدمعُ عـن قلـبي الجـوابا
ولي بـين الضـلوع دمٌ ولحـمٌ ... همـا الـواهي[1] الـذي ثَكِـلَ الشـبابا
تَسـرَّب في الـدموع فقلـتُ ولَّى ... وصـفَّق في الضـلوعِ فقلـت ثابا[2]
ولـو خُلِقـتْ قلـوبٌ مـن حديـد ... لمـا حَمَلَـتْ كمـا حَمـلَ العـذابا
وكـلُّ بِسـاطِ عـيشٍ سـوف يُطـوى ... وإن طـالَ الزمـانُ بـه وطـابا
كـأَنَّ القلـبَ بعـدهُم غريـبٌ ... إذا عادتـه ذكـرى الأهـلِ ذابا
ولا يُنبيـكَ عـن خُلُـق الليـالي ... كمـن فقـدَ الأَحبـةَ والصَّـحابا
أخـا الـدنيا، أرى دنيـاكَ أفعـى ... تُبـدَّل كـلَّ آونـةٍ إِهـابا
وأن الـرُّقْط[3] أيقـظ هاجعـاتٍ ... وأتـرع[4] في ظـلالِ السِـلّم نابا

---

(1) الواهي الضعيف وثكل الشباب فقده والمقصود بالدم واللحم هنا القلب

(2) ثاب رجع بعد ذهاب

(3) جمع رقطاء وهي الحية على جلدها سواد مشوب بالبياض

(4) ترع أسرع إلى الشر

ومـــن عجـــب تُشـــيَّب عاشِـــقِيها وتُفنـــيهم ومـــا بَرِحـــتْ كَعـــابا (1)
فمــــن يغــــترُّ بالــــدنيا فــــأني لبِسْـــتُ بهـــا فأبليـــتُ الثيـــابا
لهـــا ضَـــحِكُ القِيـــان (2) إلى غـــبيّ ولي ضـــحكُ اللبيـــب إذا تغـــابى
جنيْـــتُ بروضِـــها ورداً وشـــوكاً وذقـــتُ بكأْسِـــها شُـــهْداً وصَـــابا
فلـــم أر غـــيرَ حكـــمِ الله حكمـــاً ولـــم أر دون بـــاب الله بـابـــا
ولا عظَّمْـــتُ في الأَشـــياء إلا صـــحيحَ العلـــم، والأدبَ اللُّبـــابا (3)
ولا كرَّمـــتُ إلا وجـــهَ حـــرٍّ يقلِّـــدُ قومـــهَ المـــنَنَ الرَّغَـــابا (4)
ولم أرَ مثـــلَ جمـــعِ المـــالِ داءً ولا مثـــلَ البخيـــلِ بـــه مُصَـــابا
فـــلا تقتلْـــكَ شَـــهوتُه، وزِنْهـــا كمـــا تـــزنُ الطعـــامَ أو الشـــرابا
وخـــذ لبنيـــك والأيام ذخـــراً وأعـــط اللهَ حِصَّـــتَه احتســـابا (5)
فلـــو طالعـــتَ أحـــداث الليـــالي وجـــدتَ الفقـــرَ أقرَبَهـــا انتِيـــابا (6)
وأن الـــبرَّ خـــيرٌ في حيـــاةٍ وأبقـــى بعـــد صـــاحبِه ثـــوابا
وأن الشـــرَّ يصـــدعُ فاعليـــهِ ولم أر خـــيِّراً بالشـــر آبا
فرفقـــاً بالبنـــينَ إذا الليـــالي علـــى الأعقـــاب أوقعـــتِ العِقَـــابا

---

(1) الجارية الناهد
(2) القيان جمع قينة وهي الأمة المغنية
(3) المختار الخالص
(4) الأرض الرغاب التي لا تسيل إلا من مطر كثير
(5) احتسب عند الله أمراً قدمه
(6) أنتابه أتاه مرة بعد أخرى

ولم يتقلَّــــدوا شــــكرَ اليتـــامى	ولا ادَّرعـــوا[1] الــدعاء المســتجابا
عجبـــتُ لمعشــرٍ صــلوا وصــاموا	ظـــواهرَ خشـــيةٍ وتُقـــيً كِـــذَابا
وتُلفـــيهم حيـــالَ المـــالِ صـــمًّا	إذا داعـــي الزَّكـــاةِ بهـــم أهـــابا[2]
لقـــد كتمـــوا نصـــيبَ اللهِ منـــهُ	كـــأَن الله لم يُحْـــصِ النّصـــابا
ومـــن يعِـــدلْ بحـــبِّ اللهِ شـــيئاً	كحـب المـال، ضـلَّ هـوىً وخـابا
أراد اللهُ بالفقـــــــراءِ بـــــــرا	وبالأيتـــام حُبَّـــا وارتبـــابا[3]
فـــربَّ صـــغيرِ قـــومٍ علَّمـــوه	سمـا وحمـى المُسَـوَّمةَ العِـرابا[4]
وكـــان لقومـــه نفعـــاً وفخـــراً	ولـــو تركـــوه كـــان أذىً وعـــابا[5]
فعلَّـمْ مـا اسـتطعت، لعـل جـيلا	سـيأتي يُحـدثُ العَجَـبَ العُجـابا
ولا تُرهـــقْ[6] شـــبابَ الحـــيّ يأســـاً	فـــإن اليـــأسَ يخـــترمُ[7] الشـــبابا
يريـــد الخـــالقُ الـــرزقَ اشـــتراكا	وإن يـــكُ خـــصَّ أقوامـــاً وحـــابى[8]
فمـــا حَـــرَمَ المجـــدَّ جَـــنَىً[9] يديـــه	ولا نســـىَ الشـــقيَّ ولا المُصـــابا

---

(1) أدرع لبس الدرع
(2) أهاب به دعاه
(3) أرتب الصبي ارتيابا رباه حتى أدرك
(4) الخيل المسومة المرعبة والخيل العراب الكرائم
(5) العيب
(6) أرهقه طغيانا أغشاه إياه
(7) يستأصله
(8) حاباه اختصه ومال إليه
(9) الجني ما يجني من الشجر

ولولا البخلُ لم يهلْك فريقٌ   على الأقدارِ تلقاهُم غِضَابا

تعبتُ بأهله لوماً، وقبلي   دعاةُ البر قد سئموا الخطابا

ولو أني خطبت على جماد   فَجَرْتُ به الينابيعَ العِذابا

ألم تَرَ للهواءِ جرى فأفضَى[1]   إلى الأكواخِ واخترقَ القِبابا

وأن الشمسَ في الآفاق تَغْشَى   حمى كسرى كما تغشى اليبابا[2]

وأن الماءَ تَرْوَي الأسدُ منهُ   ويَشْفِي من تلعلعِها[3] الكِلاَبا

وسوَّى[4] الله بينكمو المنايا   ووسَّدكُم مع الرسْل الترابا

---

(1) بلغ

(2) اليباب الفقر

(3) تلعلع الكلب دلع لسانه عطشاً

(4) جعلكم فيها سواء

بعد المنفى

هذه القصيدة أنشدت في دار الأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠
وكانت بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس

أنادي الرَّسْمَ[1] لو ملَكَ الجوابا ... وأَجزيهِ بدمعيَ لو أثابا
وقَلَّ لحقهِ العبراتُ تجري ... وإن كانت سوادَ القلب ذابا
سَبقْنَ مُقَبّلاتِ التربِ عني ... وأَدَّيْنَ التحيةَ والخطابا
نثرتُ الدمع في الدِّمن[2] البوالي ... كنظمي في كواعبها[3] الشبابا
وقفتُ بها كما شاءتْ وشاءوا ... وقوفاً علَّمَ الصبرَ الذَّهابا
لها حقٌّ وللأحبابِ حقٌّ ... رّشفتُ وصالهم فيها حُبابا[4]
ومن شكَرَ المناجِمَ محسِناتٍ ... إذا التبرُ انجلى شكر الترابا
وبين جوانحي وافٍ ألوفٌ ... إذا لمح الديار مضى وثابا
رأي مَيْلَ الزمانِ بها فكانت ... على الأَيام صحبتُه عتابا
وداعاً أرض أندلسٍ وهذا ... ثنائي إن رضيت به ثوابا
وما أثنيت إلا بعد علمٍ ... وكم من جاهلٍ أثنى فعابا

---

(1) الرسم ما كان لاحقا بالأرض من آثار الدار

(2) آثار الديار

(3) الكواعب من الجواري ناهدات الثدي والمراد بها هنا الديار قبل أن تستحيل إلى دمن

(4) رشف الماء مصه بشفتيه والحباب الحب

تَخِـذْتُكِ مـوئلا[1] فحللـتُ أنـدي | ذراً مـــن وائـــلٍ[2] وأعـــزَّ غـــابا
مُغَـــرّبُ آدمٍ مـــن دار عـــدنٍ | قضـــاها في حمـــاك لي اغـــترابا[3]
شـكرتُ الفُلْـكَ يـوم حويـت رحْلـي | فيـــا لمفـــارقٍ شـــكر الغُـــرابا
فأنـتِ أرحتِـني مـن كـل أنـفٍ | كـأنف الميْـتِ في النَّـزع انتصـابا
ومنظَـــرِ كـــلّ خـــوَّانٍ يـــراني | بوجـــه كـــالبغيّ رمـــى النقـــابا
ولـــيس بعـــامرٍ بنيـــانُ قـــومٍ | إذا أخلاقُهـــم كانـــت خـــرابا
أحـــقٌ كنـــتِ للزَّهـــراء ســـاحاً | وكنـتِ لسـاكن "الزاهـي" رحـابا؟
ولم تـك "جـور" أبهـى منـكِ وَرداً | ولم تـــكُ بابـــلٌ أشـــهى شـــرابا؟
وأن المجـــدَ في الـــدنيا رحيـــقٌ | إذا طـــال الزمـــانُ عليـــه طـــابا؟
ألئـــك أمـــةٌ ضـــربوا المعـــالي | بمشـــرقها ومغربهـــا قِبَـــابا
جـرى كـدراً لهـم صـفوُ الليـالي | وغايـــةُ كـــلّ صـــفوٍ أن يُشـــابا
مشـيّبَةُ القـرونِ أُديـلَ منهـا[4] | ألم تـــر قَرْنهـــا في الجـــو شـــابا
معلَّقَـــــةٌ تَنظَّــــرُ صـــــولجاناً | يخـــرُّ عـــن الســـماء بهـــا لِعـــابا
تُعَـدُّ بهـا علـى الأمـمِ الليـالي | ومـــا تـــدري الســـنينَ ولا الحســـابا
ويا وطـــني لقيتُـــكَ بَعْـــدَ يأْسٍ | كـــأني قـــد لقيـــت بـــك الشـــبابا

---

(1) وأل طلب النجاة والموئل الملجأ

(2) جبل وسميت به قبيلة من العرب

(3) إن الله الذي أخرج آدم من الجنة ليجعل الأرض منفاه قد قضى على أن يكون منفاي في جنة من حماك. وهذه مبالغة من الشاعر في تكريم هذه البلاد التي آوته وهو غريب

(4) أدال الله فلانا من فلان نزع الدولة من الثاني وحولها إلى الأول. والكلام على الشمس

وكـــلُّ مســـافرٍ ســـيؤوبُ يومـــاً   إذا رُزِقَ الســـــــــــــلامةَ والإيابا

ولـــو أني دُعيـــتُ لكنـــتَ دِيـــني   عليـــه أُقابـــل الحـــتم المجـــابا ١

أديـــر إليـــك قبـــل البيـــت وجهـــي   إذا فُهـــتُ الشـــهادةَ والمتـــابا

وقـــد سَـــبَقَتْ ركـــائبيَ القـــوافي   مقلَّـــدةً أزمتُهـــا طِـــرابا

تجـــوبُ الـــدهرَ نحـــوك والفيـــافي   وتقـــتحمُ الليـــاليَ لا العُبـــابا

وتُهـــديك الثنـــاء الحـــرَّ تاجـــاً   علـــى تاجيـــكَ مؤتلقـــاً عجـــابا

هـــدانا ضـــوء ثغـــرِكَ مـــن ثـــلاثٍ   كمـــا تَـــدي "المنـــوَّرةُ" الركـــابا

وقـــد غشَّـــى المنـــارُ البحـــرَ نـــوراً   كنـــار "الطـــور" جَلَّلـــت٢ الشـــعابا

وقيـــل الثغـــرُ، فـــاتأدتْ فأرْسَـــتْ   فكانـــت مـــن ثـــراكَ الطُّهـــرِ قـــابا

فصـــفحاً للزمَـــانِ لصـــبحِ يـــومٍ   بـــه أضـــحى الزَّمـــانُ إليَّ تابا

وحيـــا اللهُ فتيـــاناً سِماحـــاً   كســـوا عِطْفَـــيَّ مـــن فخـــرٍ ثيـــابا

ملائكـــةٌ إذا حَفُّـــوكَ يومـــاً   أحبَّـــك كـــلُّ مـــن تلقَـــى وهـــابا

وإن حملتْـــكَ أيـــديهم بحـــوراً   بلغـــتَ علـــى أكِفّهـــم الســـحابا

تلَّقـــوْني بكـــلِّ أغـــرَّ زاهٍ   كـــأن علـــى أسِـــرَّتِه شـــهابا

تـــرى الإيمـــانَ مُؤْتلقـــاً عليـــه   ونـــورَ العلـــم وَالكَـــرمَ اللُّبـــابا(٣)

---

(1) دعيت إلى الموت نوديت والحتم المجاب هو الموت

(2) جلل الشيء غطاه وعمه

(٣) الخالص (٢) الوضاءة الحسن والنظافة (٣) الحساب

(٤) الحشاشة بقية الروح في المريض والتهاب الجلد

(٥) الغرثى جمع غرثان وهو الجائع والسغاب جمع ساغب وهو الجائع أيضاً

وتلمحُ من وضاءَةِ(٢) صفحتيه | محيا مصرَ رائعةً كَعابا
وما أدبي لما أسَدَوه أهلٌ | ولكِنْ من أحبَّ الشيءَ حابى
شبابَ النيل: إن لكم لصَوْتاً | ملبىًّ حين يُرفعُ مستجابا
فهُزُّوا (العرشَ) بالدعواتِ حتى | يُخَفِّفَ عن كنانتِهِ العَذابا
أمن حرب البَسُوسِ إلى غَلاءٍ | يكادُ يُعيدُها سَبعاً صِعابا؟
وهل في القومِ يوسفُ يتَّقيها | ويُحسنُ حِسْبَة(٣) ويَرَى صوابا
عبادك ربِّ قد جاءوا بمصرٍ | أنيلاً سُقتَ فيهم أم سَرابا
حنانك وأهدِ للحسنى تِجَاراً | بها ملكوا المرافِقَ والرقابا
ورقِّقْ للفقيرِ بها قلوباً | محجَّرةً وأكباداً صِلابا
أمن أكلَ اليتيم له عقابٌ | ومن أكلَ الفقيرَ فلا عِقابا؟
أصيبَ من التِّجار بكل ضارٍ | أشدَّ من الزمان عليه نابا
يكاد إذا غَذَاه أو كساه | ينازعه الحشاشة(٤) والإهابا
وتسمعُ رحمةً في كُلِّ نادٍ | ولستَ تحسُّ للبر انتدابا
أكلٌّ في كتَاب الله إلاَّ | زكَاةَ المالِ ليست فيه بابا
إذا ما الطاعمون شكَوْا وضجُّوا | فدعْهُم واسمع الغَرْثَى(٥) السِّغابا
فما يبكون من ثُكْلٍ ولكن | كما تصفُ المعدِّدة المصابا
ولم أر مثلَ سوق الخيرِ كسباً | ولا كتِجَارة السوءِ اكتسابا
ولا كأولئك البؤساءِ شاءً | إذا جوَّعتَهَا انتشرت ذئَابا

ولـــولا الـــبِرُّ لم يُبْعَـــثْ رســـولٌ ولم يَحمــــــلْ إِلى قـــــومٍ كِتـــــابا

أيها العمال

هذه القصيدة نظمت سنة ١٩٢٣

أيُّها العمَّالُ أفنوا العمرَ كدًّا واكتسابا

واعْمُـــــرُوا الأرضَ فلـــــولا   ســعيُكم أمســتْ يبــابا(١)

إنَّ لي نصــــــحاً إِلـــــيكُم   إِن أذِنْـــــتُمْ وعتـــــابا

في زمــــان غَــــبِيَ النـــــا   صــــحُ فيــــه أو تغـــابى

أيـــن أنـــتم مـــن جـــدودٍ   خَلَّـــدُوا هـــذا الـــترابا؟

قلدوه الأثَر المعجزَ والفنَّ العجابا

وكسوْه أبدَ الدهر من الفخرِ ثيابا

أتقَنـــوا الصـــنعةَ حـــتى   أخـــذوا الخُلـــدَ اغتصـــابا

إِن للمتقن عند الله والناسِ ثوابا

أتقِنوا يُحبِبْكُمْ الله ويرفعْكُم جنابا

أرضِيتمْ أن تُرَى مصر من الفنِّ خرابا؟

بعـــدَ مـــا كانـــتْ سمـــاءً   لِلصـــــناعاتِ وغـــــابا

---

(١) الأرض اليباب الخراب

(٢) أي دأباً وخففت للضرورة

أيها الغادونَ كالنحلِ ارتياداً وطِلابا

في بكـــورِ الطـــير للـــرز   قِ مجيئـــــاً وذهـــــابا

أطلبــــوا الحـــقَّ برفـــقٍ   واجعلـــوا الواجـــب دابا(٢)

واستقيموا يفتَح الله لكمْ بابا فبابا

اهجروا الخمرَ تُطيعوا الله أو تُرضُوا الكِتابا

إنهـــا رِجْـــس فطـــوبَى   لامـــرِئٍ كــــفَّ وتابا

تُـــرْعِشُ الأَيـــدي ومـــن يـــر   عـــشْ مـــن الصـــنَّاعِ خـــابا

إنما العاقلُ من يجعل للدهر حسابا

فـــاذكروا يـــومَ مشـــيبٍ   فيـــه تَبكـــون الشـــبابا

إن للســـــــن لهمًّـــــا   حـــين تعلـــو وعـــذابا

فاجعلوا من مالِكم للشيب والضعف نِصابا

واذكـــروا في الصـــحة الـــدا   ءَ إذا مـــا السُّـــقمُ نابا

واجمعـــوا المـــال ليـــومٍ   فيـــه تلقـــون اعتصـــابا

قد دعاكم ذنبَ الهيئةِ داعٍ فأصابا

هي طاووسٌ وهلْ أحسنُه إلاَّ الذنابا؟

الصحافة

هذه الأبيات من قصيدة ألقيت في الاحتفال بتأليف نقابة تجمع الصحف العربية في سنة ١٩٢٠

لكـــل زمـــانٍ مضـــى آيـــةٌ وآيـــةُ هـــذا الزمـــانِ الصُّـــحُفْ

لســـانُ الـــبلادِ ونَـــبْضُ العبـــا د، وكهفُ الحقوق، وحربُ الجَنفْ(١)

تســيرُ مســيرَ الضُّــحى في الــبلا دِ، إذا العِلْـمُ مـزَّق فيهـا السَّدَفْ(٢)

وتمشِـــــي تُعَلِّـــــمُ في أمــــةٍ كثـــيرة مـــن لا يَخُـــطَّ الأَلِـــف!

فيـا فتيـةَ الصُّـحفِ صـبراً إذا نبـا الــزرقُ فيهــا بكــم واختلــف

فــإن الســعادةَ غــيرُ الظهــو رِ، وغـــيرُ الثـــراء، وغـــيرُ الـــتَّرَف

ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يُكتَنَفْ

خـذوا القصـدَ واقتنِعـوا بالكفـا ف وخلوا الفُضُولَ يَغُلْها السرف(٣)

ورومـــوا النبـــوغَ فمـــن نالـــه تلقَّـــى مـــن الحـــظِّ أســـنى التُّحَـــف

ومـــا الـــرّزق مجتنِـــبٌ حرفـــةً إذا الحـــــظ لم يهجُـــــرِ المحـــــترِف

---

(١) الجنف الحيف (٢) السدف الظلام (٣) الفضول فضلات المال الزائدة عن الحاجة. وغالها السرف يغولها أتى عليها (٤) اليتيم اللؤلؤ المنقطع النظير
(٥) الخرائد العذارى (٦) منتصف شعبان (٧) الشرف أولا العلو والمجد. والشرف ثانيا الموضع العالي وهنا المسرح (٨) أي ومنبرقس بن ساعدة وهو أخطب خطباء الجاهلية
(٩) الغابرين الأتين والنطف جمع نطفة وهي أصل النسل

إذا آخـــتِ الجـــوهَريَّ الحظـــو ظُ كفلـنَ اليتـيمَ لـه في الصـدَفْ(٤)
وإن أعرضـــتْ عنــه لم يحـــلُ في عُيـــونِ الخرائــد(٥) غــيرُ الخـــزف
رعــــى الله ليلَـــــتكم، إنهـــا تلـــتْ عنــده ليلـــة المنتصَـــف(٦)
لقــد طلــعَ الــبرُّ مــن جُنحِهــا وأومـــا إلى صُـــبحِها أن يقِـــف
جَلـــوتُمْ حَواشــيها بالفنـــو نِ فمــن كــل فــنٍّ جميــلٍ طَــرَف
فـإن تسـألوا مـا مكـان الفنـو نِ فكم شرفٍ فوق هذا الشَّرَف(٧)
أريكـة (مـوليرَ) فيمـا مضـى وعــرشُ (شِكسِـبْيرَ) فيمـا سَــلف
وعُودُ (ابن ساعدةٍ) (٨) في عكا ظَ إذا ســـال خـــاطِرهُ بالطَّـــرَف

فلا يرقيَنْ فيه إلا فتى إلى درجاتِ النبوغِ انصرف

تُعَلِّم حكمتُه الحاضرين وتسمِعُ في الغابرينَ النُّطَف(٩)

ذكرى كارنارفون

كان للورد كارنارفون فضل العثور على كنوز الملك الشاب – توت عنخ آمون – بوادي الملوك. وقد توفى اللورد في الخامس من شهر ابريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكونتيننتال على إثر لسع بعوضة تسمم منها دمه فلم تمهله أكثر من خمسة عشر يوما وافاه في نهايتها القضاء.. وهذه الأبيات من قصيدة رثاه فيها الشاعر.

في المـوت مـا أعيـا وفي أسـبابهِ	كـل امـرئٍ رَهـنٌ بِطَـيّ كتابـهِ(١)
أسـدٌ لعمـرُك، مـنْ يمـوتُ بظُفْـرِه	عنـد اللقـاءِ كمـن يمـوت بنابـهِ(٢)
إن نامَ عنـكَ فكـلُّ طـبٍّ نافـعٌ	أو لم يـنمْ، فالطـبُّ مـن أذنابـه
داءُ النُّفـوسِ وكـلُّ داءٍ قبلـه	هـمٌّ نسـينَ مجيئـه بذَهابـه(٣)
الـنفسُ حَـرْبُ المـوتِ إلا أنَّهـا	أتـتِ الحيـاةَ وشُـغْلَها مـن بابـه(٤)
تَسَـعُ الحيـاةَ علـى طويـل بلائهـا	وتضيقُ عنه على قصيرِ عذابه(١)

(١) ما أعيا أي ما أتعب وأعجز عن إدراك حقيقته. رهن بطي كتابه أي باق في الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهي أجله

(٢) لعمرك يقول النحاه أنه قسم اللام فيه لتوكيد الابتداء وهو مبتدأ خبره محذوف أي لعمرك قسمي أو ما أقسم به

(٣) الداء العلة والمرض. نسين أي النفوس

(٤) حرب الموت أي حرب للموت والمراد أنها تكرهه وتدافعه. أتت جاءت الضمير في شغلها للحياة والضمير في بابه للموت

هـو منـزلُ السـارِي وراحَـةُ رائـحٍ	كُثـرَ النهـارُ عليـه في إتعابِـه(٢)

وشـفاءُ هـذي الـروحِ مـن آلامهـا	ودواء هـذا الجسـمِ مـن أوْصـابه(٣)

مـــن ســـرَّه ألاَّ يمـــوتَ فبـــالعلا	خَلَـدَ الرجـالُ وبالفَعـال النَّابِـه(٤)

مـا مـات مـن حـازَ الثـرى آثارَه	واسـتولتِ الـدُّنيا علـى آدابـه(٥)

قـــلْ للمُـــدِلِّ بمالـــهِ وبجاهـــه	وبمـا يُجِـلُّ النـاسُ مـن أنسـابِه(٦)

هـذا الأديمُ يصـدُّ عـن حُضَّـاره	وينـامُ مـلءَ الجفـن عـن غُيَّابـه(٧)

إلا فـتى يمشـي عليـه مجـدَّداً	ديباجتَيْـه معَمَّـراً لخرَابـه(٨)

صـادتْ بقارعـةِ الصَّـعيدِ بعوضـةٌ	في الجـو صـائدَ بازِه وعُقابِـه(٩)

وأصـاب خُرطـومُ الذبابـة صـفحةً	خُلقتْ لسـيفِ الهنـدِ أو لذُبابـه(١)

____

(١) بلاء الحياة ما فيها من ألم وهم. أي أن النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهي وتضيق عن الموت. وتأباه وهو ليس فيه إلا شيء من الألم قصير

(٢)هو أي الموت. الساري الذي يقطع الليل سيراً. الرائح الذاهب. أتعابه مصدر أتعبه

(٣) وشفاء هذي الروح إلى آخر البيت متصل بالبيت الذي قبله. والاوصاب الاوجاع جمع وصب

(٤) العلا أما الرفعة والشرف وأما جمع عليا وهي المنزلة الرفيعة. الفعال النابه الفعل الشريف المذكور

(٥) حاز الشيء ضعه إليه. الثرى التراب الندى. الآثار جمع أثر وهو ما بقي من الشيء. استولت على آدابه غلبت عليها وتمكنت منها. الآداب جمع أدب وهو كل ما يتخرج به الإنسان من فضيلة من الفضائل

(٦) المدل بماله الخ الذي يتيه به على أقرانه. الجاه القدر والمزلة. يجل يعظم

(٧) الاديم الجلد المدبوغ، وقد يطلق على وجه الأرض وهو المراد هنا. يصد عن حضاره يعرض عنهم. الحضار جمع حاضر. جفن العين غطاؤها من أعلاها وأسفلها، والمراد العين نفسها. الغياب جمع غائب

(٨) الديباجتان الخدان. أي الا فتى يمشي على وجه الأرض يجدد خديه والمراد ما يكون له كالخدين لوجه الإنسان

(٩) القارعة الشديدة من شدائد الدهر. الصعيد بلاد مصر العليا.الباز والعقاب من جوارح الطير. يقول أن تلك البعوضة صادت في الجو من كان يصيد بزاته وعقبانه

طـارتْ بخافيـة القضـاء ورَأرأتْ بكريمَتَيْـه ولامسـتْ بلُعابـه(٢)

لا تسـمعنَّ لعُصْـبةِ الأرواحِ مـا قـالوا بِباطـلِ علمهـمْ وكِذابـه(٣)

الـرُّوحُ للـرحمن جـلَّ جلالُـه هـي مـن ضـنائنِ علمـه وغِيابـه(٤)

غُلِبـوا علـى أعصـابهم فتوهَّمـوا أوهـامَ مغلـوبٍ علـى أعصـابه

مـا آبَ جَبَّـارُ القُـرونِ وإنما يـومُ الحسـابِ يكـونُ يـومَ إيابـه(٥)

فـذروه في بلـد العجائـب مغَمـداً لا تَشْـهَروه كـأمسِ فـوق رِقابـه(٦)

المسـتبدُّ يطـاقُ في ناووسـه لا تحـت تاجيـه وفـوق وِثابـه(٧)

والفـردُ يُـؤمَنُ شـرُّه في قـبره كالسيفِ نام الشرُّ خلفَ قِرابه(٨)

هـل كـانَ (تـوتَنْخٌ) تقمَّـصُ رُوحُـه قُمصَ البعوض ومُستخَسَّ إهابه(١)

---

(١) الخرطوم الأنف. المراد بالذبابة تلك البعوضة نفسها. وصفحة كل شيء جانبه. وذبابة السيف طرفه الذي يضرب به

(٢) الخافية واحدة الخوافي وهي ما دون الريشات العشر من مقدمة الجناح. القضاء هنا معناه الصنع والتقدير والمراد به قضاء الله. رأرأت يقال رأرأ بعينيه إذا حدد النظر أو إذا أدارهما. الكريمتين العينين. اللعاب ما يسيل من الفم. الضمير في طارت يرجع إلى الذبابة

(٣) العصبة من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين والمراد هنا الجماعة بغير عدد الكذاب الكذب

(٤) ضنائن علمه أي خصائص علمه مما اختص به نفسه فلا يعلم به سواه. غيابه أما جمع غيب وهو ما غاب عنك من الأمر وأما مصدر غاب يغيب وهو كالغيب في معناه

(٥) آب رجع. جبار القرون يريد توت عنخ آمون. يوم الحساب اليوم الآخر

(٦) ذروه اتركوه. بلد العجائب الأقصر لما فيها من عجائب الآثار. مغمداً أي باقياً في قبره كما يبقى السيف في غمده. لا تشهروه من شهر السيف إذا سله يعني لا تخرجوه محمولا على الرقاب كما كان يحمل على الرقاب التي يملكها وهو حي

(٧)المستبد من استبد بالشيء إذا انفرد به. يطاق من أطاق الشيء إذا قدر عليه. الناووس في مقبرة النصارى خاصة وقد استعمل لمقبرة سواهم. الوثاب السرير الذي لا يبرح الملك عليه

(٨) قراب السيف قيل هو غمده وقيل هو وعاء يوضع فيه السيف بغمده وقيل غير ذلك

أو كان يجَزيك الردَى عن صُحبةٍ وهــو القــديمُ وفــاؤه لصــحابه(٢)
تالله لـو أهـدَى لـك الهَـرميْنِ مـن ذهـب، لكـان أقـلَّ مـا تُجْـزَى بـه
أنــت البشــيرُ بــه، وقــيِّمُ قصــرِه ومقــدَّمُ النــبلاءِ مــن حُجابــه(٣)
أعْلَمْــتَ أقــوامَ الزمــانِ مكانَــه وحشَــدْتَهُم في ســاحِهِ ورِحابــه(٤)
لــولا بَنَانــك في طَلاسِــمِ تُربِــه مــا زادَ في شــرفٍ علــى أَترابِــه(٥)

---

(١) تقمص روحه قمص البعوض أي لبسها. والقمص جمع قميص. المستخس الخسيس. الاهاب الجلد الذي لم يدبغ

(٢) يجزيك يقضيه لك ويثيبك عليه. الردى الهلاك. الوفاء ضد الغدر. الصحاب جمع صاحب

(٣) البشير المبشر بالخير. قيم القصر سائس أمره. النبلاء جمع نبيل وهو الذكي النجيب. الحجاب جمع حاجب

(٤) أقوام جمع قوم. حشدتم جمعتم. الساح جمع ساحة وهي الموضع المتسع أمام الدار ونحوها. الرحاب جمع رحبة وهي الساحة

(٥) البنان أطراف الأصابع مفردها بنانة. الترب التراب. أترابه لداته جمع ترب أو هم

مملكة النحل

ألقيت هذه القصيدة في مجمع علمي بوزارة الزراعة بسطت فيه حياة النحل والدعوة إلى تربيته. وكان ذلك في سنة ١٩٢٣

مملكـــــــــــةٌ مُـــــــــدَبَّرَهْ بامـــــــــرأةٍ مـــــــــؤمَّره

تحملُ في العُمَّال والصنَّاعِ عبءَ السيطرهْ

فأعجبْ لعمَّالٍ يُولْلونَ عليهم قيصرهْ

تحكُمُهُـــــــــمْ راهبـــــــــةٌ ذكَّـــــــارة مُغــــــبِّرَهْ(١)

عاقـــــــــدةٌ زُنَّارَهـــــــا عـــــن ســـــاقها مشـــــمِّره

تلثَّمَـــــــــتْ بالأرجـــــــوا نِ وارتدتْـــــــه مئـــــزرهْ

وارتفعـــــــــتْ كَأنَّهـــــــا شـــــــــارة مُطيَّـــــــرَهْ

ووقعـــــــــتْ لم تخــــــتلجْ كأنَّهـــــــا مُســـــــمَّرهْ(٢)

مخلوقـــــــــةٌ ضــــــــعيفة مـــــن خُلُـــــقٍ مُصَـــــوَّرهْ

يامـــــا أقـــــلَّ ملكَهـــــا ومـــــا أجـــــلَّ خطـــــرهْ

قـــفْ ســـائلِ النحـــلَ بـــه بأيِّ عَقـــــلٍ دبَّـــــرهْ؟

(١) التغبير: ترديد الصوت بالقراءة

(٢) الاختلاج: الاضطراب

يُجبِكَ بالأخلاق وهيَ كالعقولِ جوهره

تغــــني قـــوى الأخـــلاقِ مـــا   تغـــــني القـــوى المفكَّـــــرهْ

ويرفــــــــــعُ الله بهـــــــــا   مَـــن شـــاءَ حـــتى الحشـــرهْ

أليس في مَمْلكةِ النحْلِ لقومٍ تَبصرَهْ؟

ملـــــــكٌ بنـــــــاهُ أهلُـــــــهُ   بهمـــــــــةٍ ومُجـــــــــدرَهْ(١)

لو التمستَ فيه بطَّالَ اليدين لم تَرَهْ

تُقتَـــــلُ أو تُنفـــــى الكُســـــا   لَى فيـــــه غـــــيرَ مُنْـــــذَرهْ

تحكـــــم فيـــــه قيصـــــره   في قومهـــــــــا مـــــــــوقَّرهْ

مـــــن الرجـــــالِ وقيـــــو   دِ حُكْمِهـــــــمُ محـــــــرَّرَهْ

لا تـــــورثُ القـــــومَ ولـــــو   كـــــانوا البنـــــينَ الـــــبررَهْ

الملكُ للإناثِ في الدستورِ لا للذكرَهْ(٢)

نَـــــيّرةٌ تَنـــــزلُ عـــــن   هالتهـــــــــا لنـــــــــيرَّهْ

فهـــل تُـــرى تخشـــى الطَّمـــا   عَ في الرجـــال والشَّـــرَهْ(٣)

فطالمـــــــــا تلاعَبُـــــــــوا   بالهَمَـــــــج المُصَـــــــيَّرَه

وعـــــــــبروا غَفْلَتَهـــــــــا   إلى الظهـــــور قَنطَـــــرَهْ

---

(١) يقال هذا الأمر مجدرة ذاك أي جدير به

(٢) الذكرة: الذكور

(٣)الطماع الطمع

وفي الرّجال كرمُ الضعفِ ولؤمُ المقدُرةَ

وفتنـــــــةُ الـــــــرأي ومـــــا	وراءَهـــــا مـــــن أثـــــرهْ
أنثـــــى ولكـــــن في جنـــــا	حَيْهـــا لَبَـــاةٌ مُخْـــدِرَهْ(١)
ذائـــــدةٌ عـــــن حوضِـــــها	طـــــاردةٌ مَـــــنْ كـــــدَّرَهْ
تقلَّـــــــدَتْ إبرتَهـــــــا	وادّرعـــــــتْ بالحَبَـــــــرَهْ
كأنهـــــــا تُركيَّـــــــةً	قـــــد رابطـــــت بأنقُـــــرَهْ
كأنهـــــا (جانـــــداركُ) في	كتيبـــــةٍ مُعســـــكِرهْ
تَلقَـــى المُغـــيرَ بالجنـــو	دِ الحُشُـــــن المنمَّـــــرهْ
الســـــابغين شِـــــكَّةً(٢)	البـــــالغين جَسَـــــرَهْ(٣)
قـــــد نَثَـــــرَتْهم جُعبـــــةً	ونفضـــــتْهم مِئـــــبَرَهْ(٤)
مَـــنْ يـــبنِ مُلكـــاً أو يَـــذُدْ	فبالقنـــــا المجـــــرَّرهْ
إنَّ الأمـــــورَ همـــــةٌ	لـــــيس الأمـــــورُ ثرثـــــرهْ
مـــا الملـــكُ إلاَّ في ذرا الـــ	ألويـــــةِ المُنَشَّـــــرَهْ
عرينـــــهُ مـــــذْ كـــــان لا	يحميـــــه إلاَّ قَسْـــــوَرهْ(٥)

---

(١) اللباه: اللبوة
(٢) الشكة: السلاح
(٣) الجسرة : الجسارة
(٤) المئبره بيت الإبره
(٥) القسورة الأسد

رَبُّ النيـــــوبِ الـــــزُّرْقِ والمخالــــبِ المـــــذكَّرهْ

مالكـــــــةٌ عاملـــــــةٌ مُصْـــــلحةٌ مُعَمِّـــــرَهْ

المــــــالُ في أتباعهـــــا لا تَســــــتبينُ أثـــــره

لا يعرفـــــون بيـــــنهم أصـــــلاً لـــــه مـــــن ثُمُـــرْه

لـــــو عَرَفـــــوه عَرَفـــــوا مـــــن الــــبلاءِ أكثـــرَهْ

واتخـــــــذوا نقابـــــــةً لأَمـــــــرهم مســـــيِّرهْ

سبحانَ مَنْ نَزَّهَ عنهُ ملكَهمْ وطهَّرَهْ

وساســــــه بِحَّـــــــرةٍ عاملـــــــةٍ مســـــخَّرهْ

صــــــاعدةٍ في معمــــــلٍ مــــن معمـــلٍ منحِـــدرهْ

واردةٍ دســـــــــــــكرةً صـــادرةٍ عـــن دســـكره(١)

باكرةٍ تستنهضُ العصائبَ المبكَّرهْ(٢)

السامعين الطائعينَ المحسنينَ المَهَرَه

مـــن كـــلِّ مَـــنْ خــطَّ البنـــا ءَ أو أقـــــامَ أسْـــــطُرَهْ

أو شــــدَّ أصــــلَ عقـــدِهِ أو ســــدَّه أو قَـــــوَّرهْ(٣)

أو طـــاف بالمـــاءِ علـــى جدرانــــه المجــــدَّرهْ(٤)

---

(١) الدسكرة القرية

(٢) العصائب جمع عصبة

(٣) قور الشيء قطعه من وسطه خرقاً مستديراً

(٤) المجدرة المشيدة

وتـــذهبُ النحـــلُ خِفــا فـــاً وتجـــئُ مُـــوقرَهْ

جوالبَ الشمعِ من الخمائل المنوَّرَهْ

حَوالـــبَ المـــاذيّ(١) مـــن زهـــرِ الـــرياضِ الشّـــيره(٢)

مشـــــدودةٌ جيوبُهـــــا عَلَـــى الجَـــنَى مُـــزَرَّرَهْ

وكـــــلُّ خُرْطـــــومٍ أدا ةُ العَسَـــــلِ المُقَطَّـــــرَهْ

وكـــــلُّ أنـــــفٍ قـــــانئٍ فيـــه مـــن الشُّـــهدِ بُـــرَهْ(٣)

حـــتى إذا جـــاءت بـــه جاســـتْ خـــلالَ الأدوره(٤)

وغيَّبْتـــــهُ كالسُّـــــلا ف في الـــدِّنانِ المُحْضَـــرَه(٥)

فهـــل رأيـــتَ النحـــلَ عـــن أمانـــــةٍ مُقصِّـــــرهْ؟

مـــا اقترضـــتْ مـــن بَقلَـــةٍ أو اســـــتعارتْ زَهَـــــرَهْ

أدَّتْ إلى النَّـــــاس بـــــهِ سُـــــكَّرةً بســـــكَّرهْ

(١) الماذي العسل

(٢) الشيرة الحسان

(٣) البرة الحلقة في الأنف

(٤) الادورة الديار يراد بها الخلايا هنا

(٥) السلاف أفضل الخمر

توت عنخ آمون

هذه الأبيات نظمها الشاعر سنة ١٩٢٣ إثر العثور على مقبرة هذا الملك المصري القديم وما حوت من كنوز وتحف

قِفي يا أختَ (يُوشَع) خبِّرينا ... أحاديثَ القرونِ الغابرينا(١)

وقُصّي من مصارِعِهم علينا ... ومن دُولاتهم ما تعلمينا(٢)

فمثلكِ من رَوى الأخبار طرّاً ... ومن نسبَ القبائلَ أجمعينا(٣)

نرى لكِ في السماءِ خضيبَ قرنٍ ... ولا نُحصِي على الأرض الطعينا(٤)

مشيتِ على الشباب شُواظَ نارٍ ... ودرتِ على المشيبِ رحى طحونا(٥)

تُعينينَ الموالدَ والمنايا ... وتبنينَ الحياةَ وتهدمينا(٦)

---

(١) الخطاب للشمس. وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس، فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم. وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله:

وما أنس لا أنس المليحة إذ بدت ... دحى فأضاء الأفق من كل موضع

فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت ... وأني قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرين، الأجيال الماضية.

(٢) قصى: حدثي، ومنه: "نحن نقص عليك أحسن القصص"، مصارعهم: مهالكهم دولاتهم جمع دولة بضم ففتح وهي الداهية يقال: "جاء الدهر بدولاته" أي بدواهيه.

(٣) طرا جميعاً من دون أن تترك منها شيئاً، نسب القبائل، ذكر أنسابهم.

(٤) الخضيب: الملون بالخضاب، القرن: حاجب الشمس: الطعين المطعون.

(٥)الشواظ بالضم والكسر: دخان النار

(٦) المنايا جمع منية وهي الموت

فيالـــكِ هِـــرَّةً أكلـــتْ بنيهـــا ... ومـــا وَلَـــدوا وتنتظـــر الجنينـــا(١)

أَ أُمَّ المـــالكينَ بـــني (أمـــونٍ) ... لِيهْنِـــكِ أنهـــم نزعـــوا (أمـــونا)(٢)

ولـدتِ لـه (المـآمين) الـدواهي ... ولم تَلِـدي لــه قــطّ (الأمينــا)(٣)

فكانوا الشُّهْبَ حين الأرضُ ليل ... وحـــين النـــاس جِـــدُّ مُضَـــلَّلينا

مشتْ بمنارهم في الأرض (روما) ... ومـــن أنـــوارهم قَبســـت (أثينـــا)(٤)

ملـوكُ الـدهر بالـوادي أقـامُوا ... عَلَـى (وادي الملـــوك) مُحَجَّبينـــا(٥)

فـــربَّ مصـــفَّدٍ مـــنهم وكانـــت ... تُســـاقُ لـــه الملـــوكُ مُصَـــفّدينا(٦)

تَقيَّـــدَ في الـــترابِ بغـــير قيْـــدٍ ... وحـــــلَّ علـــــى جوانبــــــه رهينـــــا

تعـالى الله كـان السـحر فـيهم ... أليســـوا للحجـــارةِ مُنطِقينـــا؟(٧)

---

(١) الهرة. القطة، ويقال في المثل "أعق من الهرة" لأنها تأكل أولادها. الجنين: الولد ما دام في الرحم

(٢) نزع أباه. أشبهه، وفيه إشارة إلى أم (أمون) واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه وكان من عاداتهم أن لا يتولى الملك إلا من كانت أمه زوجة شرعية لأبيه إلا أن (توت عنخ آمون) تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آمون

(٣) إشارة للخليفتين. الأمين والمأمون. وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة. أي ولدت له أبناء صاروا ملوكاً وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون

(٤) روما عاصمة إيطاليا. قبست أخذت. أثينا عاصمة اليونان. وفيه إشارة إلى ما أخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة

(٥) وادي الملوك هو إلى الشاطئ الغربي للنيل بالأقصر على مسير نصف ساعة تقريباً وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشر وما بعدها وقد كانوا يبالغون في العناية بها وإتقانها إلى حد يفوق الوصف

(٦) مصفدين مقيدين، يصف فراعنة مصر في مقرهم الأخير. وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة

(٧) منطقين أي أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة

غَـدَوْا يبنـون مـا يبْقـى وراحـوا وراء الآبـداتِ مُخلَّـدينا

إذا عَمـدوا لمـأثرةٍ أعـدُّوا لهـا الإتقـانَ والخلـق المتينـا

ولـيس الخلـدُ مرتبـةً تُلقَّـى وتُؤْخـذ مـن شـفاه الجاهلينـا

ولكـن مُنتَهـى هِمَـمٍ كبـار إذا ذهبـتْ مصـادِرُها بقينـا

وسـرُّ العبقريـةِ حـين يسـري فينـتظم الصـنائع والفنـونا

وآثارُ الرجـال إذا تناهـتْ إلى التـاريخ خـير الحاكمينـا

وأخـذك مـن فـم الـدنيا ثنـاء وتركُـك في مسـامعها طنينـا(١)

فغـالِي في بنيـكِ الصـيدِ غـالي فقـد حُـبَّ الغُلـوُّ إلى بنينـا(٢)

شـباب قنَّـعٌ لا خـير فـيهم وبُـورِكَ في الشـبابِ الطامحينـا(٣)

فنـاجيهم بعـرشٍ كـان صِـنْواً لعرشـكِ في شِـبيبته سَـنينا(٤)

وكـان العـزُّ حلَيتَـه وكانـتْ قوائمـهُ الكتائـبَ والسـفينا(٥)

وتاج مـن فرائـده (ابـنُ سـيتي) ومـن خرزاتـه (خوفـو) و (مينـا)(١)

وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم قاطبة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب وقد قال أحد الحكماء: "كل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فإن الدهر يخشى عليه منها"

(١) الطنين صوت الذباب الطست والناقوس ونحو ذلك

(٢) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه يميناً وشمالاً. فقد حب بضم الحاء أي فقد حب

(٣) شباب قنع أي قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا. الطامحون المتفائلون في طلب المعالي

(٤) الصنو الأخ الشقيق والابن. السنين بفتح السين من يكون في سنك

(٥) الكتائب جمع كتيبة وهي الجيش

عَــلاَ خــدّاً بــه صَــعَرٌ وأنفــاً ترفَّــع في الحــوادثِ أن يـــدينا(٢)

ولســتُ بقائــل ظلمــوا وجــاروا علـى الأجـراء أو جلـدوا القطينـا(٣)

فــإنا لم نُــوَقَّ الــنَّقصَ حــتى نُطالـــبَ بالكمـــال الأوَّلينـــا(٤)

ومـا (البسـتيلُ) إلا بنـت أمـس وكــم أكــلَ الحديــدُ بهــا ســجينا(٥)

ورُبَّـــةَ بيعـــةٍ عَـــزَّتْ وطالـــتْ بناهــا النــاسُ أمــس مُســخرينا(٦)

مُشَـيَّدةً لشـافي العُمـيِ (عيسـى) وكــم سَمَــلَ القســوس بهـا عيـونا(٧)

خليلــيَّ اهبطـا الــوادي ومــيلاَ إلى غُــرف الشــمُوس الغاربينــا(١)

---

(١) ابن سيتي هو رمسيس الثاني المعروف بسوزستريس ويلقب بالأكبر لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه وولى الملك صغيراً في حياة والده. وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله في جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب في جملة فتوح وبخاصة في آسية الشمالية. وكان في أيامه بنتاءور الشاعر المصري وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه. "خوفو" و "مينا" من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطاً بعيداً في المدينة ومن آثارهما الخالدة الأهرامات

(٢) علا خدا أي ذلك التاج الصعران يميل الرجل بخده عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً

(٣) القطين الخدم. أي أنه لا يجاري بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الاجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم في إنشاء تلك الأبنية

(٤) لم نوق النقص أي لم نحفظ منه

(٥) البستيل: سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفي هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل في فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفني بين جدرانه المظلمة مصلح كبير، وكم من سياسي جنى عليه عمله لخير بلاده فدخل حياً وفارقه ميتاً وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) فهدموه واقتلعوا أصوله وأخذت فتاة أحجاره فجعلها النسوة عقوداً يتحلين بها في أمكنة اللآلئ إشارة إلى غلبة الأمة على الظلم وانتقامهم من الظالمين وكان أخذه في ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩. وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ولا يزال الفرنسيون يحتفظون بذكره إلى الآن

(٦) البيعة بكسر الباء معبد النصارى، مسخرين: أي كلفوا عملهم بلا أجرة

(٧) سمل العين فقأها بحديدة محماة وقلعها

وســـيرا في محـــاجرهم رُويـــداً وطوفـــا بالمضـــاجع خاشـــعينا(٢)

وخُصَّـــا بالعمـــار وبالتَحـــايا رفـاتَ المجـدِ مـن (توتنخمينـا)(٣)

وقـبراً كـاد مـن حسنٍ وطيـبٍ يضــيءُ حجـارةً ويضـوعُ طينـا(٤)

يُخـال لروعــةِ التــاريخ قُــدَّت جنادلـهُ العـلا مـن (طـور سـينا)(٥)

وكــان نزيلُــه بالمَلــكِ يــدعى فصـــار يقلـــب الكنـــزَ الثمينـــا(٦)

وقُوَمـــاً هـــاتفَيْن بـــه ولكـــن كمـــا كـــان الأوائـــلُ يهتفـــونا(٧)

فـــثَم جلالـــةٌ قـــرّت ورامـــت علـــى مـــرِ القـــرونِ الأربعينـــا(٨)

جـــلالُ الملـــك أيامٌ وتمضـــي ولا يمضـــي جـــلالُ الخالـــدينا(٩)

وقـــولا للنزيـــل قـــدوم ســـعد وحيـــا الله مقـــدمك اليمينـــا(١٠)

ســـلامٌ يـــوم وارتـــك المنـــايا بواديهـــا ويـــومَ ظهـــرتَ فينـــا(١)

---

(١) يريد بالشموس الغاربين ملوك الفراعنة وغرفهم مدافنهم

(٢) المحاجر ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقيال اليمن وهي إحماؤهم أي ما كان يحميه كل واحد منهم

(٣) العمارة التحية وهو أيضاً الريحان يزين به مجلس الشراب واستعماله هنا على الإطلاق إذ لا يليق أن يكون مقيداً بتزين هذا المجلس. التحايا جمع تحية. الرفات كل ما تكسر و بلى

(٤) يضوع يتحرك وينتشر أي كادت حجارته تضيء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية

(٥) الروعة المسحة من الجمال. الجنادل جمع جندل وهو الحجارة. طور سيناء هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى

(٦) النزيل الضيف

(٧) هاتفين به أي بالملك الذي هو نزيل القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته

(٨) فثم هناك الجلالة عظم القدر. رامت أقامت. القرون الأربعون هي التي مضت منذ عهد توت عنخ آمون

(٩) أي أن الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه في التاريخ أما جلال الملك فلا بقاء له

(١٠) اليمين المبارك وهو من اليمن

خرجت من القبور خروج عيسى عليـــكَ جلالـــةٌ في العالمينـــا(٢)
يجـوب الـبرقُ باسمـكَ كـلَّ سـهل ويخـــترقُ البُخـــارُ بـــه الحـــزُونا(٣)
تعـــال اليـــومَ خـــبرَّنا أكنـــت نـــواكَ ســـناتِ نـــومٍ أم ســـنينا؟(٤)
ومـاذا جبـتَ مـن ظلمـاتِ ليـلٍ بعيـدِ الصـبح يُنِضـي المُـدلجينا؟(٥)
وهـل تبقـى النفـوسُ إذا أقامـت هياكُلهـــا وتبلـــى إن بَلينـــا؟
ومـا تلـك القبـابُ وأيـن كانـت وكيــف أضــلّ حافرُهـا القـرونا؟(٦)
ممـــردَة البنـــاء تُخـــالُ برجـــا بـــبطن الأرض محطوطـــاً دفينـــا(٧)
تغَطـــى بالأثاث فكـــان قصـــراً وبالصُـــوَرِ العِتـــاق فكـــان زونا(٨)
حملـتَ العـرشَ فيـه فهـل ترجّـى وتأمـــلُ دولـــة في الغابرينـــا؟(٩)

---

(١) وارتك أخفتك

(٢) خروج عيسى أي كما خرج عيسى من القبر على رأي النصارى وصاحب الديوان لا يعتقد ذلك وإنما ينظر فيه إلى رأيهم

(٣) يجوب يقطع. البرق اسم منقول من معناه الأصلي للتلغراف. والبخار اسم منقول كذلك للوابور أو هو من باب تسمية الشيء باسم المؤثر فيه. الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض

(٤) تعال اليوم الخ الخطاب لتوت عنخ آمون، نواك بعدك. السنات جمع سنة بكسر السين وهي النعاس

(٥) ينضى يهزل. المدلجون الذي يسيرون من أول الليل

(٦) وما تلك القباب الخ أي وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة وهي ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة والقرون جمع قرن وهو مائة عام

(٧) ممردة البناء مملسته

(٨) تغطي أي هذا البناء تغطي الخ والأثاث متاع البيت، الصور جمع صورة يريد بها الرسوم التي تحاكي صور الأشياء. العتاق جمع عتيق وهو القديم من كل شيء وهو النجيب من الخيل والجارح من الطير، الزون الموضع تجمع فيه الأصنام

(٩) في الغاربين في الباقين وفي القرآن الكريم: "فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين" ويكون أيضاً بمعنى الماضين فهو من الكلمات التي تستعمل للأضداد

وهـل تَلَقى المهيمنَ فوق عـرشٍ ويلقـــاه المـــلا مُتَرَجلينـــا؟(١)
ومـا بالُ الطعـام يكـاد يقـدى كمـا تركتـه أيـدي الصـانعينا؟(٢)
ولم تـكُ أمـس تصـبرُ عنـه يومـاً فكيـف صـبرتَ أحقـاباً مئينـا(٣)
لقـد كـان الـذي حـذر الأوالي وخـاف بنـو زمانـك أن يكـونا(٤)
يحـب المـرءُ نـبش أخيـه حيـاً وينبشـــه ولـــو في الهالكينـــا
سُـللتَ مـن الحفـائر قبـل يـومٍ يَسُّـل مـن الـتراب الهامـدينا(٥)
فـإن تـكُ عنـد بعـثٍ فيـه شـكٌ فـإن وراءه البعـثَ اليقينـا(٦)
ولـو لم يعصـموكَ لكـان خـيراً كفـى بالمـوت معتَصـماً حصـينا(٧)
يُضَـرُّ أخـو الحيـاةِ ولـيس شـيءٌ بضـائره إذا صـحبَ المنـونا

---

(١) المهيمن من أسماء الله تعالى. المترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم
(٢) ما بال الطعام ما حاله. يقدى من قدى الطعام أي طاب طعمه ورائحته
(٣) الأحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر، المئين جمع مائة
(٤) لقد كان أي لقد حصل الذي حذر الأوالي والأوالي جمع أول والمعنى أن ما كنتم تخافونه وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم قد حصل ولم تمنعه مبالغتكم في الوقاية منه
(٥) سللت أخرجت منها برفق، الحفائر جمع حفيرة وهي الحفرة، واليوم الذي يسيل الهامدين من التراب هو يوم القيامة
(٦) فإن تك عند بعث الخ أن فإن تكن الآن تشك في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتي البعث الذي لا تشك فيه وهو بعث القيامة
(٧) يعصموك يمنعوك من المكروه. أي لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل إليك، وجلاء هذا المعنى في البيت الثاني

مصر تجدد مجدها

ألقيت هذه القصيدة في حفل بمسرح حديقة الأزبكية سنة ١٩٢٠

قــم حــيِّ هــذي النــيراتِ ... حَـــيِّ الحسَـــانَ الخـــيِّراتِ

واخفِـــضْ جَبينَـــك هَيبـــةً ... للخُـــــرَّد المتخفّـــــراتِ(١)

زيْـــن المقاصِـــرِ والحجَـــا ... لِ وزيْـــن محـــرَابِ الصـــلاة(٢)

هـــــذا مَقَـــامُ الأمّهَـــا ... ت، فهـــل قَـــدرتَ الأمهـــاتِ؟

لا تلـــغُ فيـــه ولا تَقُـــلْ ... غـــير الفواصِـــلِ محكمـــاَت(٣)

وإذا خطبـــتَ فـــلا تكـــن ... خطْبـــاً عَلَـــى مِصـــرَ الفتـــاةَ

أذكـــرْ لهـــا اليـــابانَ لا ... أمـــمَ الهـــوى المتهتِّكـــاتِ

مـــاذا لقيـــتَ مـــن الحضـــا ... رة يا أُخـــيَّ الترَّهـــاتِ(٤)

لم تَلـــقِ غـــيرَ الـــرق مـــن ... عُســـرٍ عَلَـــى الشـــرقي عـــات

خُذْ بالكِتاب وبالْحَدِيثَ وسيرةِ السَّلَفِ الثِّقاتِ(٥)

وارجع إلى سُنن الخليقَةِ واتَّبِعْ نظُمَ الحياةِ

---

(١) الخرد العذارى. المتخفرات المستحييات

(٢) الزين ضد الشين. المقاصر جمع مقصورة وهي إما الدار الواسعة المحصنة أو الحجرة من حجر الدار. الحجال جمع حجل وهو الخلخال

(٣) لا تلغ لا تقل باطلا عن غير روية وفكر. الفواصل جمع فاصلة وهي من السجع بمنزلة القافية من الشعر

(٤) الترهات الطرق الصغار تتشعب عن الجادة واحدها ترهة ثم استعيرت للباطل

(٥) الثقات جمع ثقة والثقة الموثوق به ويوصف به المفرد وغير المفرد والمذكر والمؤنث

هــــــذا رســـــولُ الله لم   يَـــنْقُص حُقُـــوقَ المؤمنــــات

العلـــمُ كـــان شـــريعةً   لنســـــائه المُتَفَقَّهـــــاتِ(١)

رُضْـــنَ التجـــارة والســـيا   ســـةَ والشـــؤونَ الأُخـــريات(٢)

ولقـــد علمـــتَ بناتــــه   لُجُـــجَ العلـــوم الزاخـــرات

كانت سكينةُ تملأُ الدنيا وتهزأُ بالرواة(٣)

روت الحـــديثَ وفســـرتْ   آيَ الكتـــاب البينــــات

وحضـــارةُ الإِســـلام تنطِـــقُ عـــن مكـــان المســـلماتِ

بغـــدادُ دار العالمـــا   ت ومنـــزلُ المتـــأدبات(٤)

ودِمشـــقُ تحـــت أميـــةٍ   أمّ الجـــواري النابغـــاتِ(٥)

ورياضُ أندلسٍ نَمّيْنَ الهاتفاتِ الشاعرات(٦)

أدْعُ الرجـــالَ لينظُـــروا   كيـــف اتحـــادُ الغانيـــات

---

(١) المتفقهات من تفقه أي تعلم الفقه وتعاطاه والفقه هو علم الدين أو من تفقه في العلم إذا تعلمه

(٢) وضن من راض الشيء ذلله وجعله مطيعاً

(٣) سكينة هي بنت الحسين بن الإمام على وحفيدة الرسول ﷺ

(٤) بغداد مقر ملك العباسيين بالعراق. المتأدبات المتعلمات الأدب

(٥) دمشق مقر ملك الأمويين في الشام. الجواري جمع جارية وهي الفتاة

(٦) أندلس بلاد في غرب أوربا هي الآن مملكة أسبانيا أو بعضها وكانت قديماً مقر ملك إسلامي عظيم وأول من دخلها ونقل إليها حضارة الإسلام وأنشأ بها ذلك الملك هو عبد الرحمن الظافر الأموي المسمى صقر قريش. يمين الهاتفات من قولهم نمته عشيرته أي رفعته بالانتساب إليها

والنَّفْـــعَ كيـــف أخَـــذْنَ في   أســـــــبابه متعــــــــاونات

لمـــا رأيْـــنَ نَدَى الرِّجَـــا   لِ تَفَـــاخُراً أو حُـــبَّ ذات(١)

ورأيْـــنَ عِنْـــدهَمُو الصـــنا   ئِـــعَ والفُنـــونَ مُضَـــيَّعَاتِ

والـــبر عنـــدَ الأغنيـــا   ءِ مـــن الشـــؤون المُهْمَـــلَاتِ

أقـــبلن يَبْنِـــينَ المَـــآ   ثِـــرَ للنجـــاح مُوَفَّقَـــاتِ

للصـــالحاتِ عقائـــلِ الـــوَادِي هَـــوىً في الصـــالحات(٢)

الله أنبتهنَّ في طاعاته خَيرَ النَّباتِ

فـــأتين أطيـــبَ مـــا أتـــى   زَهَـــرُ المناقِـــبِ والصـــفَاتِ(٣)

لم يكفِ أنْ أحْسَنَّ حتى زِدْنَ حضَّ المحسنات(٤)

يمشـــينَ في سُـــوقِ الثَّـــوا   بِ مُسَـــــاوِمَاتٍ رَابحَـــــاتِ

يَلْبَسْـــــنَ ذُلَّ الســـــائلا   تِ ومـــا ذَكَـــرْنَ البائســـات(٥)

فوجُـــــوهُهُنَّ ومَاؤهـــــا   سِـــتْرٌ عَلَـــى المُـــتَجَمِّلاَتِ(٦)

مصـــرٌ تجـــدّد مَجْـــدَهَا   بنســـــائِهَا المُتَجَـــــدَّدَاتِ

---

(١) الندى الجود

(٢) الصالحات ذوات الصلاح من النساء. العقائل جمع عقيلة وهي الكريمة المخدرة. الصالحات في آخر البيت صفة لمحذوف أي الأفعال الصالحات

(٣) المناقب المفاخر

(٤) الحض من حضه على الأمر حمله عليه

(٥) البائسات الشديدات الحاجة

(٦) المتجملات من تجمل الفقيرات اللاتي لم يظهرهن ذل الفقر

النـــافراتِ مِـــنَ الجُمُـــو دِ كأنـــه شَـــبَحُ المَمَـــاتِ[1]

هـــل بَيْـــنَهُنَّ جَوَامـــداً فَـــرْقٌ وبـــينَ المُومِيـــاَتِ[2]

لما حَضَنَّ لنا القضيةَ كُنَّ خَيرَ الحاضِنَاتِ[3]

غـــذَّيْنَهَا في مَهْـــدِهَا بِلِبَـــانِهِنَّ الطـــاهراتِ

وسَبَقْنَ فيها المُعْلَمينَ إلى الكَرِيهَة مُعْلَمَاتِ[4]

يَنْفُـــثْنَ في الفِتْيَـــانِ مـــن رُوحِ الشـــجاعة والثَبَـــاتِ[5]

يَهْوَيْنَ تقبيلَ المُهَنَّد أو مُعَانَقَةَ القناة[6]

ويَـــرَيْنَ حـــتى في الكَـــرَى قُبَـــلَ الرِّجَـــال مُحَرَّمـــاتِ

---

(١) الجمود التيبس

(٢) المومياتُ واحدتها موميا وهي يونانية معناها حافظ الأجسام وتطلق اليوم على الأجسام المحنطة

(٣) القضية هي قضية استقلال وادي النيل

(4) المعلمون الفرسان لهم علامة في الحرب لبطولتهم

(5) ينفثن من قولهم نفث الله الشيء في القلب ألقاه

(6) المهند السيف. القناة الرمح

على سفح الأهرام

هذه الأبيات مطلع قصيدة طويلة استقبل فيها الشاعر ضيفاً من ضيوف مصر

في حفل على سفح الأهرام نظمت في سنة ١٩٢٣

قِــف ناجِ أَهــرامَ الجـــلالِ ونادِ	هــل مــن بُناتــكِ مجلــسٌ أو ناد؟[1]
نشـكو ونَفـزعُ فيـه بـين عيـونهم	إن الأبَّـــــوةَ مفـــــزعُ الأولاد[2]
ونبــثهم عبــثَ الهــوى بــتُراثهم	مــن كــلِّ ملــقٍ للهــوى بقيــاد[3]
ونُبــينُ كيــف تفـرقَ الإخـوانُ في	وقــتِ الــبلاء تفــرقَ الأَضــداد[4]
إن المغــالِطَ في الحقيقــةِ نفسَــه	باغٍ على الـنفسِ الضـعيفةِ عـاد![5]
قـل للأعاجيــبِ الـثلاثِ مقالـةً	مـــن هـــاتفٍ بمكـــانِهنّ وشـــادِ[6]
لله أنـتِ فمـا رأيـتُ على الصّـفا	هـــذا الجـــلالَ ولا علـــى الأَوتادِ[7]

---

(١) ناج من المناجاة وهي المسارة: الجلال التناهي في عظم القدر. البناة جمع بان. المجلس مكان الجلوس والنادي اسم للمجلس حين يجتمع فيه القوم ليتحدثوا فإذا تفرقوا فليس ناديا

(٢) نشكو نعلن الشكوى ونفزع نستغيث وضمير فيه للمجلس أو النادي. بين عيونهم أي إمامهم. الأبوة كون الرجل أبا

(٣) نبثهم نكاشفهم. العبث اللعب. الهوى إرادة النفس وهو غالب في الشر، القياد في الأصل حبل يقاد به

(٤) نبين مضارع أبان الشيء أوضحه. البلاء الغم يبلي الجسم

(٥) المغالط نفسه موقعها في الغلط. باغ ظالم وعاد ظالم أيضاً

(٦) الأعاجيب الثلاث يريد بها الأهرام الثلاثة وإنما كانت أعاجيب لأن الإنسان يستعظمها فتعتريه روعة عند ذلك وهذا هو العجب والمفرد أعجوبة وهي اسم لما يكون العجب منه. هاتف مادح من هتف به مدحه. شاد من شدا الشعر غنى به وترنم

(1) الصفا جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت. الأوتاد الجبال.

لــكِ كالمعابِــد روعــةٌ قدســيةٌ وعليـــكِ روحانيـــةُ العُبـــاَّد ١
أُسّســتِ مــن أحلامِهــم بقواعــدٍ ورُفعــتِ مــن أخلاقهــم بِعمــاد ٢

(2) الروعة الفزعة والمسحة مر الجمال. العباد جمع عابد

(3) الأحلام العقول جمع حلم. عماد الشيء ما يسند به. والخطاب في هذا البيت والبيتين قبله للأعاجيب الثلاثة

محمد علي باشا الكبير

نظمت هذه القصيدة حوالي سنة ١٩١٢ على أن تكون قطعة من رواية تمثيلية

كان مزمعاً أن تمثل إذ ذاك ذكرى لبطولة هذا العصامي العظيم

عَلَــمٌ أنــتَ في المشــارق مفــردْ ... لــكَ في العــالمينَ ذكــرٌ مُخَلَّــدْ[1]

حبــذا دُولــةٌ وملــكٌ كبــيرٌ ... أنــتَ باني رُكنَيْهمــا يا مُحَمَّد

ولــواءٌ في الــبرِّ والبحــر يُعطــي ... مَظهَـرَ الشـمسِ في الوجـود وأَزيـد

تُـدخلُ الأرضَ فيـه قُطـراً فقُطـراً ... مُـدخَلَ النـاسِ في شـريعةِ أحمـد

تَمــلأُ الأرضَ صــافناتٍ وتُجــري ... لـكَ في البحـر كـل بُـرج مُشـيّد[2]

هكــذا فلينْــل سمــاءَ المعــالي ... مـن سعَى في الـورَى لمجـدٍ وسؤدد

همــةٌ تبتــني الممالــكَ شمــا ... ءَ، ورأيٌ يسوسُــهن مُســدّد[3]

وثبــاتٌ في الحــادثاتِ وعــزمٌ ... مثــلُ ريــب الزمــانِ لا يــتردد

تضــعُ السـيفَ موضـعاً يرتضـيه ... ومــنَ البــأس مــا يُــذَمُّ ويحمَــد

وتصـونُ النَّـوالَ عـن حسـن صُـنع ... لـكَ يُنسـى ونعمـةٍ لـك تُجحـد[4]

لا تُبــالي بحاســدٍ وعــدوٍ ... آيـة الفضـل أن تعـادَى وتحسـد

[1] العلم سيد القوم. والمخلد الدائم الباقي

[2] الصافنات الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة. البرج الحصن والمراد سفينة الحرب

[3] الشماء العالية وهي وصف الهمة، المسدد المقوم

[4] النوال العطاء

همـــةُ الفـــاتحين حكـــمٌ وقهـــرٌ ولـــكَ الهمـــةُ الـــتي هـــيَ أبعـــد

لـيس مـن يفـتحُ الـبلادَ لتشـقى مثـلَ مـن يفـتحُ الـبلادَ لتَسـعد

علمت مصرُ والحجازُ وأرضُ النوب والشامُ أن عهدكَ عَسجد [1]

أنت إن أُحصِيَ النوابغُ في الملكِ كَريمُ الثنا على الدهر أوحد

أيَّــــــدتهم قرابــــــةٌ وقبيـــــــلٌ وأرى اللهَ وحـــــدَه لــــك أيَّـــــد

فتـــــولاك والليـــــالي حُبـــــالي وتـــــولاّكَ والحـــــوادثُ تولـــــد

ورمَـــى عنـــكَ والملـــوكُ رمـــاة نصفُهم واجِدون [2] والنصفُ حُسّد

ركـنَ مصـر أقمـت بعـد انقِضـاضٍ أمـــةٌ جُمَّعـــت وأمـــرٌ تَوحـــد

يا مُـديمَ الرقـادِ في خـير مَرقـد قُم فما حلَّ قبلكَ الأرضَ فرقد [3]

وانظر الشرْق كيف أصبح يهوِى وانظر الغربَ كيف أصبح يَصعد

وتأمـــــل ممالكـــــاً وبـــــلاداً لمـــسَ الـــدهرُ عِقَـــدها فتبـــدد

كنــتَ تحميــه والســيوفُ عــوارٍ مــن لــه اليــوم بالحُســام المجـرّد؟ [4]

ينشـــرُ النـــورَ والحضـــارةَ فيـــه كلمـــا زُوَّدَ الشـــعوبُ تـــزود

وتـــرى الأمَـــر بـــين قلـــبٍ ذَكـــيّ في يديـــه وبـــين جَفـــن مُســـهَّد

يا عصـامَ الملـوك هـل كنـتَ تسـلو عن عروش الملوك أو كنتَ تَزهد [1]

---

(1) العسجد الذهب وقيل الجوهر كله كالدر والياقوت

(2) واجدون غاضبون

(3) الفرقد نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به

(4) يريد بالحسام المجرد صاحبه أو يريد أن محمد على هو ذلك الحسام الذي يتمناه لحماية الشرق من جديد

صـغَّر الجـاهلون بالـنفس مسـعا ... كَ وعـذرُ النفـوسِ فيـه ممهّـد[1]

مـا سمعنـا بفـاتحٍ سـلّ سـيفاً ... يأخـذُ الملـكَ حـدُّهُ ثم أغمـد

حالـة سـامها (الأمـينَ) أخـوه ... وأمـورٌ بهـا (أميـةُ) تشـهد[2]

ثبْـتَ في فتنـةِ الحِجـاز إلـيهم ... حـين أخمـدتِها ولم تـك تُخَمـد[3]

وأتاهـم بُعـذرِه لـك بيـتٌ ... كلمـا جنّـدوا إلى الحـربِ جنّـد[4]

يحفـظ الملـكَ ملـكَ مصـر علـيهم ... جـوهراً فـوق تاجهـم يتَوقـد

زعمـوا الشـرقَ مـن فِعالـك قَلْقـاً ... وأرى الشـرقَ في يمينـك أقعـد[5]

جئته بالحياةِ والنور والتمدينِ والرأيِ والقنا والمهنّد

كـان بـين الـورى بـركنٍ فعـزّزْ ... تَ بثـانٍ والـركنُ بالـركنِ يشـتد[6]

شـرفاً في الزمـانِ آلَ علـيٍّ ... جـدُّكم سـيدُ الملـوك المسـود

ارجعـوا في العُـلا إليـه ورُومـوا ... نَهجَـهُ، نَهجَـهُ الـذي كـان أقصـد[7]

ألبِسُـوه كمـا كسـاكم فَخـاراً ... كلمـا رثّـت الثيـابُ تجـدد

---

(١) عصام مضرب المثل في علو الفرد بنفسه لا بنسبه

(٢) سامه الشيء أراده عليه. الأمين الخليفة العباسي ابن هرون الرشيد وأخوه هو المأمون صاحب الخلافة بعده وكانت بينهما حرب على الخلافة فما زال المأمون يلح على أخيه بالحرب حتى ظفر بها. وأمية جد الأمويين الذين قاتلوا العلويين على الملك حتى نالوه

(٣) ثبت أي رجعت. فتنة الحجاز هي الحرب التي أثارها الوهابيون على الدولة التركية في الحجاز فلم يهزمهم فيها إلا جيش مصري أرسله محمد علي وجعله تحت قيادة ابنه إبراهيم

(٤) يريد أن هذا البيت الذي طالما نصر الأتراك أتاهم بعذره حينما انقلب عليهم

(٥) أقعد أي أمكن وأثبت

(6) عززت بثان أي عززته

(7) النهج الطريق. اقصد أقوم

واملئـوا مسـمعَ الزمـانِ حـديثاً كـدويِّ الخِضـم أرغـي وأزيـد[1]

إنَّمـا النـاسُ أمـةٌ لا يموتـو ن وأخـرى تمـر مـرّاً وتَنَفـد

وأرى جـدَّكم عَلَـى الـدهر حيـاً خالـدَ الـذكر والثنـاء المـردّد

كلمـا مـرَ مـن مسـاعيه قـرن مـرّ يزهـو بعقـدهن المنضّـد[2]

مُشـرقاً مـن ثنائـه مُستَضِـيئاً مـن بنيـه بكـل أبلـجَ أصـيد[3]

يتحـداه في فخـارٍ ويسـري في منـارٍ علـى طريـقٍ معبّـد[4]

---

(1) الخضم البحر

(2) القرن من الزمان مائة سنة. المنضد المنسق بعضه إلى بعض

(3) الأبلج المشرق المنير

(4) طريق معبد مذلل

الانقلاب العثماني

نظمت هذه القصيدة يوم سقوط السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الدولة العثمانية، وتولية خلفه السلطان محمد رشاد الخامس على أثر المطالبة بالدستور

دمعة على يلدز – سيئات العهد الماضي– التفاؤل للعهد الجديد– معذرة وعتب على السلطان المخلوع – تحية المؤمنين للخليفة الجديد

سَلْ (يلدِزاً) ذاتَ القصورِ ... هل جاءت نبأُ البدورِ؟[1]
لو تستطيعُ إجابةً ... لبكتكَ بالدمعِ الغزيرِ
أخْني عليها ما أنا ... خَ عَلَى الخَوَرْنقِ والسديرِ[2]
ودها الجزيرةَ بعد إسماعي ... لَ والملكِ الكبيرِ[3]
ذهبَ الجميعُ فلا القصو ... رُ تُرى ولا أهلُ القصورِ
فَلكٌ يدورُ سعودُه ... ونحوسُه بيدِ المديرِ
أينَ الأوانسُ في ذُرا ... ها من ملائكةٍ وحورِ[1]

---

(1) يلدز في لغة الترك اسم نجم وقد سمي به قصر عظيم في الأستانة كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه والمخاطب بقوله "سل الخ" هو هذا السلطان

(2) أخنى عليه الدهر أتى عليه وأهلكه. الخورنق قصر كان في الحيرة بالعراق للملك النعمان الأكبر أحد ملوك بني المنذر والسدير قصر كان بالحيرة أيضاً للمناذرة

(3) دهاه الأمر أصابه. الجزيرة هي جزيرة الروضة في النيل شرقي القاهرة وكان بها قصر عظيم من قصور الخديوي إسماعيل وهو المراد

المترَعاتُ من النعيمِ الرواياتُ من السرور[٢]

العـــاثراتُ مـــن الـــدلا ... لِ الناهضـــاتُ مـــن الغُـــرورِ

الآمـــراتُ علـــى الـــولا ... ةِ الناهيـــاتُ علـــى الصـــدورِ[٣]

الناعمــــــاتُ الطيبــــــاتُ ... العَـــرفِ أمثـــالُ الزهـــورِ[٤]

الـــذاهلاتُ عـــن الزمـــا ... نِ بنشـــوةِ العـــيشِ النضـــيرِ

المشرفاتُ وما انتقلنَ على الممالكِ والبحورِ

مـــن كـــل بلقـــيسٍ علـــى ... كرســـيِّ عزتِهـــا والـــوثيرِ[٥]

أمضى نفوذاً من زبيدةَ في الإمارةِ والأميرِ[٦]

بـــينَ الرفـــارفِ والمشـــا ... رفِ والزخـــارفِ والحريـــرِ[٧]

والـــروضِ في حجـــم الـــدُنا ... والبحـــرِ في حجـــمِ الغـــديرِ

والـــدرِّ مؤتَلـــقِ الســـنَا ... والمســـكِ فيـــاحِ العبـــيرِ

في مســـكنٍ فـــوق الســـما ... كِ وفـــوق غـــاراتِ المغـــيرِ[١]

---

(1) الأوانس جمع آنسة وهي الطيبة النفس. الحور جمع حورية وهي المرأة البيضاء الناعمة

(2) المترعات جمع مترعة من أترع الإناء ملأه

(٣) الولاة جمع وال. الصدور جمع صدر ويقال له الصدر الأعظم وهو كبير وزراء السلطان في الدولة التركية

(٤) العرف الرائحة الطيبة

(٥) بلقيس ملكة سبأ من أرض اليمن وقصتها مع الملك سليمان مبسوطة في كتب التاريخ الديني. الوثير اللين الموطأ

(٦) زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد

(٧) الرفارف جمع رفرف وهو الفراش. المشارف جمع مشرف وهو الموضع يشرف منه ومشارف الأرض أعاليها

بـــــين المعاقـــــلِ والقَنـــــا   والخيـــــل والجِـــــمّ الغفـــــيرِ

سمّـــــوه يلـــــدزَ والأفـــــو   لُ نهايـــــةُ الـــــنجمِ المُنـــــيرِ

دارت علـــــيهنَّ الـــــدوا   ئـــرُ في المخـــادعِ والخـــدور ٢

أمسيْن في رقّ القَبيلِ وبتْنَ في أسرِ العَشِير ٣

مـــا ينتهِـــين مـــن الصـــلا   ةِ ضـــراعةً ومـــن النـــذور

يطلُبن نُصرةَ ربّهَنّ وربُّهن بلا نَصير ٤

صبغ السوادُ حبيرَهنَّ وكان من يَقَقِ الحُبور ٥

أنا إن عجـــــزتُ فـــــإن في   بُـــرديَّ أشـــعر مـــن (جَريـــر)

خَطْبُ الإمام عَلَى النظيمِ يَعزُّ شرحاً والنثير

عظـــةُ الملـــوك وعـــبرةُ الـــ   أيام في الـــــزمنِ الأخـــــير

شيخُ الملوكِ وإن تضعضع في الفؤادِ وفي الضمير

نســـــتغفرُ المـــــولى لـــــه   والله يَعفـــو عـــن كثـــير

---

(١) السماك كوكب

(٢) الدوائر جمع دائرة وهي النائبة من صروف الدهر. المخادع جمع مخدع بضم الميم وكسرها بيت يكون في البيت الكبير يحرز فيه الشيء

(٣) القبيل: المراد به الأمة

(٤) ربهن سيدهن وهو السلطان عبد الحميد

(٥) الحبير الناعم الجديد. اليقق الشديد البياض

ونَـــراه عنـــد مصـــابه   أولى بِبـــاكٍ أو عَـــذِير

ونصـــونُه ونُجلـــه   بـــين الشـــماتةَ والنَّكـــير

عبدَ الحميد حسابُ مثلك في يدِ الملِك الغفُورِ

سُـــدتَ الثلاثـــينَ الطـــوا   لَ ولَسْـــنَ بالحُكـــم القَصـــير [1]

تنهـــي وتأمـــرُ مـــا بـــدا   لـــكَ في الكبـــير وفي الصـــغير

لا تَستشـــيرُ وفي الحِمـــى   عـــددُ الكواكـــب مـــن مُشـــير

كـــم سَـــبَّحوا لـــكَ في الـــروا   حِ وألَّهـــوكَ لـــدى البُكـــور

ورأيـــتَهم لـــكَ سُـــجَّداً   كسـجود موسـى في الحضـور [2]

خفضـــوا الـــرءوسَ ووتَّـــرُوا   بالـــذل أقـــواسَ الظَّهـــور [3]

مـــاذا دهـــاكَ مـــن الأمـــو   رِ وكنـــتَ داهيـــةَ الأمـــور؟

مـــا كنـــتَ إن حـــدثَتْ وجلَّـــ   تْ بالجَـــزُوعِ ولا العَثُـــور

أيـــن الرويـــةُ والانا   ة وحكمـــة الشـــيخ الخبـــير؟

إن القضـــاءَ إذا رمـــى   دكَّ القواعـــدَ مـــن (ثَبـــير) [4]

دخلوا السريرَ عليكَ يحتكمون في رب السرير [5]

---

(1) الثلاثين الطوال الأعوام التي مضت له وهو سلطان

(2) كسجود موسى في الحضور أي في حضوره حين تجلى له الله فكلمه

(3) وتروا بالذل أقواس الظهور أي جعلوا الذل وتراً لأقواس ظهورهم يعني أن الذل قوس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس إذا شد عليها

(4) ثبير جبل معروف

(5) يحتكمون في رب السرير يتصرفون فيه وفق مشيئتهم

أعظِمْ بهم من آسرينَ وبالخليفةِ من أَسير!

أسدٌ هصورٌ أنشبَ الأظفارَ في أسدٍ هَصورِ [1]

قالوا اعْتَزِلْ – قلتَ اعتزلتُ – الحكمُ لله القدير

صـــبروا لـــدولتكَ الســـني | نَ ومـا صـبرتَ سـوى شُـهور
أوذيـــتَ مـــن دُســـتورهم | وحنَنـــتَ للحُكـــم العَســـير
وغضِـــبتَ كالمنصـــورِ أو | هـــارون في خـــالي العصـــور [2]
ضَـــنُّوا بضـــائع حقِّهـــم | وضَـــنْنتَ بالـــدنيا الغَـــرور
هـــلا احتفظـــتَ بـــه احتفَـــا | ظَ مُرحِّـــبٍ فـــرحٍ قَريـــر

هو حليةُ المِلكِ الرشيدِ وعصمةُ المِلك الغَرير

وبـــه يُبـــارَكُ في الممـــا | لـــكِ والملـــوكِ علـــى الـــدهور
يا أيُّهـــا الجـــيشُ الـــذي | لا بالـــدعيّ ولا الفَخُـــور
يخَفَـــى فـــإن رِيـــعِ الحمـــى | لفـــتَ البريـــةَ بالظُهـــور [3]
كالليـــثِ يســـرفُ في الفِعـــا | لِ ولـــيس يُســـرف في الـــزئير [4]

الخاطبُ العلياءِ بالأرواحِ غاليةِ المهور

---

(1) أنشب أظفاره في الشيء أعلقها فيه

(2) أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد من الخلفاء العباسيين

(3) ريع الحمى أي راعه شيء وأفزعه

(4) الزئير صوت الأسد

عنـــد المُهـــيمن مـــا جَـــرى　　في الحـــقِّ مـــن دمـــكَ الطَهـــور

يتلـــــو الزمـــــانُ صـــــحيفةً　　غـــــرًّا مُذَهَّبَـــــةَ السُّـــــطورِ

في مـــدح (أنـــورك) الجـــري　　ء وفي (نيازيـــك) الجســـور

يا (شـــوكت) الإِســـلام بـــل　　يا فـــاتحَ البلـــد العســـير ١

وابـــنَ الأكـــارم مـــن بـــني　　(عَمَر) الكريم على (البشير) ٢

القابضين على الصليل كجدهم وعلى الصرير ٣

هـــل كـــان جـــدُّك في ردا　　ئـــك يـــوم زحفـــك والكـــرور

فقنصـــت صـــيادَ الأُســـو　　د وصـــدتَ قنـــاصَ النســـورِ

وأخـــذت (يلـــدزَ) عَنـــوةً　　وملكـــتَ عنقـــاءَ الثغـــور ٤

المؤمنـــــون (بمصـــــر) يُهـــــدون الســـــلامَ إِلى الأمـــــير

ويُبايعُونك يا (محمدُ) في الضمائر والصدور ٥

قـــد أمَّلـــوا لهلالهـــم　　حـــظَّ الأهلـــةِ في المســـيرِ

---

(1) أنور ونيازي وشوكت كانوا من كبار القواد في الجيش العثماني وكانوا على رأس الحركة التي قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على إعادة الدستور وجعله أساس الحكم في البلاد التركية

(٢) عمر هو الخليفة عمر بن الخطاب كان شوكت باشا من سلالته. البشير من أسماء النبي مُحَمَّد ﷺ

(٣) الصليل الصوت يسمع عند المقارعة بالسيوف. الصرير صوت القلم عند الكتابة

(٤) أخذ الشيء عنوة أي قهراً. العنقاء طائر معروف الاسم ومجهول الجسم يضرب مثلاً لكل عزيز ممتنع والمراد أنه ملك ثغر الأستانة الذي يشبه العنقاء في عزته وامتناعه

(٥) مُحَمَّد هو السلطان مُحَمَّد رشاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبد الحميد

فــــابلغْ بـــــه أوْجَ الكمــــا ل بقــــــوةِ اللهِ النصــــــير
أنـــــت الكبـــــيرُ يقلِّـــــدو نـك سـيفَ (عثمـانَ) الكبـير
شـــــيخُ الغـــــزاةِ الفاتحــــــ يـنَ حسـامُه شـيخُ الـذكور[1]
يمضــــي ويغمـــــد بالهـــــدى فكأنــــه ســــيف النـــذير[2]
بشــــرى الإمــــام محمــــدٍ بخلافـــــــة الله القـــــــدير
بشــــرى الخلافــــة بالإمــــا م العـــادلِ النـــزهِ الجـــدير
الباعـــثِ الدســـتور في الــــ إســـلام مـــن حُفــر القبــور
أوْدَى "معاويـــــــةٌ" بـــــــه وبعثتَـــــه قبــــل النشــــور[3]
فعلــــى الخلافـــة منكمـــا نــــورٌ تـــلألأَ فـــوقَ نـــور[4]

---

[1] الذكور جمع ذكر وهو السيف
[2] النذير من أسماء النبي
[3] أودى به ذهب به وأضاعه معاوية بن أبي سفيان أول ملوك الدولة الأموية وقد كان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين وهي معنى حكم الدستور فلما أخذ معاوية الملك استقل فيه برأيه
[4] منكما أي من الخليفة ومن الدستور

طوكيو

نظمت هذه القصيدة يوم نكبت اليابان بالزلزال الهائل الذي أصابها في سنة ١٩٢٥.

قِفْ (بطوكيو) وطُف على (يوكاهامه) وسَـــل القـــريتَيْن كيـــف القيامــةَ
دنــت الســاعةُ الــتي أُنْــذِرَ النــا سُ وحلَّــت أشــراطُها[١] والعلامــه
قِـفْ تأمَّـل مَصـارعَ القـوم وانظُـر هــل تــرى مــن ديار عــادٍ دِعامــه
خُسـفت بالمسـاكن الأرض خسـفاً وطــوى أهلُهــا بِســاطَ الإِقامــة[٢]
طوَّفَــــت بالمــــدينتين المنــــايا وأدارَ الـــــردى علـــــى القـــــوم
لا تـرى العـينُ منهمـا أيـن جالـت غـيرَ نِقّـضٍ[٤] أو رِمَّـةٍ أو حُطامـه[٥]
حــازَهم مــن مراجــل[٦] الأرض قــبرٌ في مـدى الظـن عمقُـه ألـفٌ قامـه
تحســبُ الميــتَ في نواحيــه يُعــي نفخــةَ الصــورِ أن تَلُــمَّ عِظَامــه
أصــبحوا في ذرا الحيــاة وأمْسَــوا ذهبــت ريحُهــم وشــالوا نعامــه[٧]

---

(١) الاشراط: المفرد شرط: العلامة
(٢) أي ارتحلوا
(٣) الجامة الكأس
(٤) النقض: اسم البناء المنقوض
(٥) الحطامة: ما تحطم من الشيء المحطوم أي ما تكسر منه
(٦) مراجل: جمع مرجل وهو القدر من الحجارة والنحاس
(٧) أي ارتحلوا وتفرقوا

ثِـقْ بمـا شـئتَ مـن زمانـك إلاّ   صـحبةَ العـيش أو جِـوارَ السـلامه
دولـةُ الشـرق وهـي في ذروة العـز   تحـار العيـون فيهـا فخامـه
خانها الجـيشُ وهـو في الـبر دِرعٌ   والأسـاطيلُ وهـي في البحـر لامـه[1]
لـو تأملتهـا عيشّـةَ جاشـت   خلتهـا في يـد القضـاء حمامـه
رجّهـا رجّـةً أكبّـت علـى قـر   نيـه (بـوذا) وزلزلـت أقدامـه
اسـتعذنا بالله مـن ذلـك السـي   ل الـذي يكسـحُ الـبلادَ أمامـه
مـن رأى جامـداً يَهُـبُّ هبـوباً   وحميمـاً[2] يَسُـح سـحَّ الغمامـه؟
ودخـاناً يَلُـفُّ جُنحـاً بجـنحٍ[3]   لا تـرى فيـه مِعصَـمَيها اليمامـه[4]
وهزيمـاً كمـا عـوى الـذئبُ في كـل   مكـانٍ وزمجـر الضـرغامه
أتـت الأرضُ والسـماءُ بطوفـا   ن يُنسّـي طوفـان نـوحٍ وعامـه
فترى البحرَ جُنَّ حتى أجاز[5] البر واحتل موجُه أعلامه
مُزبـداً ثائـر اللَّجـاج كجـيشٍ   قـوَّضَ العاصـفُ الهبـوبُ خيامـه
فُلْـكُ نـوح تعـوذُ منـه بنـوحٍ   لـو رأتـه وتسـتجير زمامـه
قـد تخيلـتهم متابيـلَ سـحرٍ   مـن قـراع القضـاء صَـرْعى مُدامـه

(1) اللامة: الدرع
(2) الحميم: الماء الحار
(3) جنح الليل: طائفة منه
(4) هي زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر
(5) أجاز الموضع: سلكه

وتخيلـــتُ مـــن تخلّـــف مـــنهم ... ظـــنَّ ليـــلَ القيـــام ذاك، فنامـــه

أبـــراكينُ تلـــك أم نـــزواتٌ ١ ... مـــن جـــراح قديمـــة مُلْتَامـــه

تجـد الأرضُ راحــةً حيــث سـالت ... راحــةُ الجسـم مـن وراء الحَجَامـه ٢

مــا لهــا لا تضــجّ ممــا أقلّــت ... مــن فســادٍ وحُمِّلــت مــن ظُلامــه

كلمـــا لُبّســـت بأهـــل زمـــانٍ ... شـــهِدت مـــن زمـــانهم آثامـــه

استووا بالأذى ضُرّاً وبالشر ولوعاً وبالدماء نَهامه

لبّست هذه الحياةُ علينا عالم الشر وحشَه وأنامه

ذاك مــن مُؤنســاته الظفــرُ والنــا ... بُ وهـــذا ســـلاحُه الصَمْصَـــامه

سَــرّهُ مــن أُســامةَ الــبَطْشُ والفتــ ... كُ فَســـمَّى وليـــدَه بأُســـامه ٣

لَؤُمــت منهمـــا الطبـــاعُ ولكـــن ... ولـــدُ العاصـــيْين ٤ شـــرٌّ لآمـــه!

---

(1) نزوات: وثبات

(2) الحجامة: الفصد

(3) أسامة: الأسد

(4) العاصيين: آدم وحواء

أبو الهول

ألقيت هذه القصيدة يوم الاحتفال بافتتاح مسرح حديقة الأزبكية سنة ١٩٢١

وقد رفع الستار يومئذ عن تمثال أبي الهول ورجل يناجيه

أَبَا الهَـوْلِ: طـالَ عليـكَ العُصُـرْ وبُلِّغْـتَ في الأرض أقصـى العُمـرْ ١

فيالِـدَةَ الـدَّهرِ: لا الـدَّهرُ شَـبْ بَ، ولا أنـت جـاوزت حَـدَّ الصـغَر ٢

إلاَمَ ركوبُـكَ مَـتْنَ الرمـا لِ لِطَـيَّ الأَصـيل وجَـوْب السَّـحَرْ ٣

تُسـافر مُنـتقلاً في القـرو نِ فـأيان تُلقـى غُبـار السـفر؟

أبيْنـكَ عَهْـدٌ وبـين الجبـا لِ، تـزولان في المَوْعِـد المُنتظَـر ٤؟

أبا الهـول! مـاذا وَرَاءَ البقـا ءِ– إذا مـا تطـاول – غـيرُ الضَّـجَر ١؟

---

[1] "طال عليك العصر" العصر والعصر والعصر والعصر الدهر فالعصر هنا مفرد لا جمع – ومعنى طول الدهر على أبي الهول أنه عمر أعماراً طوالا وقد أوضح ذلك مع زيادة في التوكيد بقوله: وبلغت في الأرض أقصى العمر: والعمر بضم العين والميم لغة في العمر

[2] "فيالدة الدهر" فيا أخا الدهر وقرينه. فكأنك والدهر توءمان، خلقتما معاً في أوان، "ولا أنت جاوزت حد الصغر" أي برغم أنك بلغت في الأرض أقصى العمر

[٣] "إلام ركوبك" إلى من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية فبنيت بناء كلمة واحدة وسقطت الألف من ما طلبا للخفة واعتداداً بإلى الموصولة بها. وكذلك يفعلون في بم وفيم ومم ولا يفعلون ذلك بما الخبرية، ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء فيقولون الأمه وعمه وفيمه وله – هذا وأنه لتصوير شعري بديع رائع تصوير أبي الهول راكباً متن الرمال يطوي الليل والنهار، ويسافر منتقلاً في القرون والأدهار "وجوب" في معنى طي

[٤] "في الموعد المنتظر" يوم يزول كل شيء – أي اليوم الآخر

عجِبــتُ لِلقمــانَ في حِرصِــه عــلــى لُبَــدٍ والنسُــورِ الأخــرَ ٢
وَشــكوَى لَبيــد لطــولِ الحيــا ةِ، وَلــو لم تَطُــلْ لَتَشَــكَّي القِصَــر ٣
وَلو وُجِدَت فيك يا ابنَ الصَّفا ةِ لَحِقــتَ بِصــانِعِكَ المقْتَــدر ١

---

(١) "ماذا وراء البقاء" يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبي سلمى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

(٢) "لقمان" هو لقمان بن عادياء وتزعم العرب أنه الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستسقي لها فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر من أظب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما أهلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الابعار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قاب ابن أخ له يا عم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر. قالوا وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في أصله فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر فإذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا الشابع أخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبداً وكان أطولها عمراً فضربت العرب به المثل فقالوا طال الأبد على لبد قال الأعشي:

وأنت الذي ألهيت قيلا بكأسه ولقمان إذ خيرت لقمان في العمر
لنفسك أن تختار سبعة أنسر إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسر
فعمر حتى خال أن نــسوره خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

فعاش لقمان —كما زعموا — ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وقال النابغة

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وهذا لقمان بن عادياء غير لقمان الحكيم وغير لقمان اليهودي الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة وكلا الاثنين مذكور في القرآن الكريم

(٣) "وشكوى لبيد" أي وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة الخ وهو لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي الإسلامي المخضرمي صاحب المعلقة التي أولها

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

كان لبيد من المعمرين روى أنه مات وهو ابن مائة وأربعين وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية أما شكواه التي ألمع إليها فذلك حيث يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

يقول إذا لم يكن وراء البقاء المتطاول إلا الضجر فأني أعجب للقمان في حرصه على أن تطول حياته وللبيد الذي وإن مل الحياة وسئم من طولها فإنه لا محالة كان أكثر شكاة إذا هي لم تطل لأن حب الحياة مركوزة في الطباع

فـــإنَّ الحيـــاةَ تَفُـــلُّ الحـــدِي   دَ إذا لَبِسَـــتْهُ وتُبْلـــى الحجَـــر٢

أبا الهـول مـا أنـتَ في المُعْضِـلاَ   تِ؟ لقد ضَلَّتِ السُّبْلَ فيك الفِكر٣!

تحـــيَّرتِ البَـــدْوُ مـــاذا تكـــو   نُ، وضَـلَّتْ بـوادي الظنـونِ الحضَـر٤

فَكنـــتَ لهُـــم صُـــورةَ العُنْفُـــوَا   نِ، وَكُنـــت مِثـــالَ الْحِجَـــي والبَصَـــر٥

وسِـــرُّكَ في حُجْبِـــهِ كلَّمـــا   أطَلَّـــتْ عليـــهِ الظنـــونُ اســـتتر٦

ومـــا رَاعَهُـــم غـــيرُ رَأسِ الرجـــا   لِ عَلَـــى هَيكَـــلٍ مِـــن ذوات الظفـــرُ

ولـو صُـوِّروا مِـنْ نـواحى الطِّبـا   ع تَوالَـــوْا عَليـــك سِـــباعَ الصُّـــور٧

---

(١) "وجدت" أي الحياة "يا بان الصفاة" الحجر الصلد الذي لا ينبت شيئاً وفي المثل فلان ما تندى صفاته وفي الحديث لا تقرع لهم صفاة أي لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لأنه من الحجر "لحقت الخ" أي لا دركك الموت

(٢) فان الحياة، من المعاني المبتكرة التي لا نظن صاحب الديوان قد سبق إليها على هذا الوجه

(٣) ما أنت في المعضلات، خبرني أي معضلة أنت في المعضلات وأي معمى

(٤) تحيرت، يقول حار الناس قاطبة في أمرك حاضرهم والبادي

(٥) صورة العنفوان لما ينطوي عليه جسمك الذي صور على صورة الأسد من معاني القوة "مثال الحجي والبصر" لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الإنسان من معاني الفطنة والبصر بالأمور

(٦) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتناً في حجبه والناس من أمرك في ظلام

(٧) ولو صوروا – أي ما كان ينبغي أن يروع الناس منك إن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لأن الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطبائعهم لتوالوا عليك كأنهم وحوش. فيارب وجه كصافي النمير والنمير الماء الناجع في الري أو النامي أو الكثير، والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكره وخبثه وشراسته، ولا يخفي ما في هذا البيت من الجناس بين النمير وبين النمر، وللشعراء فيما يتصل بهذا المعنى ويقاربه ما يخطئه العد والإحصاء فمن ذلك ما يقول القائل

لا يغرنك ما ترى من أناس   إن تحت الضلوع داء دويا

ويقول الابيوردي

يلقاك والعسل المصفى يجتني   من قوله ومن الفعال العلقم

يبدي الهوى ويثور إن عرضت له   فرص عليك كما يثور الارقم

فَيارُبَّ وَجْهٍ كَصافِي النَميرِ تَشابهَ حامِلُه وَالنَّمِر

أبا الهول وَيْحكَ لَا يُستَقَلُّ مَعَ الدهر شيءٌ ولا يُحْتَقَر [1]

تَهَــزَّأتَ دَهْــراً بِــديك الصــباح فَنَقَّـــرَ عينَيـــك فيمـــا نَقَـــر [2]

ويقول الشريف الرضى

لا تجعلن دليل المرء صورته كما مخبر سمج عن منظر حسن

ويقول

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه أبى بعد طول العمر أن يتقوما

وتقبلت منه ظاهراً متبلجاً وأدمج دوني باطناً متجهما

ولو أني كشفته عن ضميره أقمت على ما بيننا اليوم مأتما

وقال آخر

يعطيك وداً صادقاً بلسانه ويجن تحت ضلوعه ألوانا

وقال أبو فراس

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئاباً على أجسادهن ثياب

وقال آخر

ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذي زرع

ويقول أبو تمام

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً متبسماً عن باطن متجهم

(1) لا يستقل لا يعد قليلاً وهذا البيت كالتمهيد لما بعده

(2) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزء أبي الهول به وسخره منه وعدم اكتراثه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح. هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول أنه ورد في بعض الآثار لا تسبوا الديكة فإنها تدعو إلى الصلاة ولابن المعتز

بشر بالصبح هاتف هتفا هاج بالليل بعد ما انتصفا

مذكر بالصبوح هاج بنا تخاطب فوق منبر وقفا

أسـال البيـاضَ وَسَـلَّ السَّـوادَ وَأَوْغـــل مِنقـــاره في الحفَـــرْ

فعُدتَ كأنَّكَ ذو المَحْبِسَيْنِ، قَطيعَ القيام سليبَ البصر [1]

وكأنَّ الرمالَ على جانِبَيْكَ وبينَ يديك ذنوبُ البشَر

كأنَّـكَ فيهـا لـواءُ القَضـا ءِ علـى الأرض أودَيـدْبانُ القَـدَر [2]

كأنَّـكَ صـاحبُ رَمْـلٍ يَـرَى خَبـايا الغيـوبِ خِـلالَ السَّـطرَ [3]

أبا الهـول أنـت نـديمُ الزمـا نِ نجِـيُّ الأوان سمـير العُصُـر [1]

صفق اما ارتياحه لسنا الفج	ر واما على الدجى أسفا
وللمعري	
أياديك عدت من أياديك صيحة	بعثت بها ميت الكرى وهو نائم
هتفت فقال الناس أوس بن معير	أو ابن رباح بالمحلة قائم
إلى أن يقول	
عليك ثياب خاطها الله قادر	بها رئمتك العاطفات الوائم
وتاجك معقود كأنك هرمز	يباهي به أملاكه ويوائم
وعينك سقط ما خبا عند قرة	كلمعة برق ما لها الدهر شائم
وما زلت للدين القديم دعامة	إذا قلقت من حامليها الدعائم

أوس بن معير هو مؤذن رسول الله بمكة بعد الفتح وابن رباح هو بلال كان يؤذن لرسول الله سفراً وحضراً ورئمتك عطفت عليك ولزمتك ويوائم يوافق ويلائم والسقط ما سقط من النار بين الزندين قبل استحكام الورى والقرة البرد

(1) "المحبسين" المحبس الموضع الذي يحبس فيه وكان يقال عن أبي العلاء المعري وهين المحبسين أي رهين عماه وبيته فكأنه من عماه في محبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكونه في محبسين

(2) "ديدبان" فارسية معربة أصلها ديده بان ومعني ديده العين وبان أي ذو أي الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندي المكلف بالحراسة

(3) "السطر" السطر والسطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر

بَســطتَ ذراعيــكَ مــن آدمٍ ووَلَّيــتَ وجهــكَ شَــطرالزُّمَر [٢]

تطــالُ علــى عــالَمٍ يَســتهِلْ لُ وتُــوفى في عــالَمٍ يُحْتَضَــرْ [٣]

فَعــينٌ إلى مَــن بــدا للوجــو دِ، وأخــرى مُشَــيَّعَةٌ مــن عَــبَرَ [٤]

فَحدِّث فَقَدْ يُهتَدى بالحديثِ، وخبِّر فقد يؤتَسَى بالخبَر [٥]

ألم تَــبْلُ فرعــونَ في عــزِّه إلى الشــمس مُعتَــزِياً والقمــر [٦]

ظليلَ الحضارة في الأوَّلينَ، رَفيعَ البناء، جليلَ الأثر [٧]

---

(١) "نجي الأوان" النجي بوزن فعيل الذي تساره وفي الحديث اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك هو المناجي المحدث للإنسان

(٢) "من آدم" أي من قديم القديم "الزمر" جمع الزمرة الجماعة من الناس والمراد هنا الناس جميعاً

(٣) "يستهل" يعني يقدم على الدنيا من استهل الصبي بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة "يحتضر" حضر فلان واحتضر إذا نزل به الموت

(٤) وأخرى مشيعة من عبر" من مضى

(٥) "فحدث" هذا البيت هو كالمدخل لما بعده

(٦) "ألم تبل فرعون" بلاه يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر كالنجاشي لملوك الحبشة وقيصر لملوك الرومان وفرعون أصلها في الهيروغليفية مركبة من بي وهي أداة التعريف كأل وراع أي الشمس فتكون كلمة واحدة وراع أو راهو معبود قوي وحاكم جبار يقاتل احتفاظاً بالحياة وإبقاء على الكون ومن هنا كان العتو والجبروت وما في معناهما من مدلولات كلمة فرعون عند العرب – وإذاً لا يقصد بفرعون فرعوناً معيناً ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول "إلى الشمس معتزياً" يقول ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو في عزه حتى لكأنه من العز والمعنة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعتزى إلى شيء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة أوزيريس "الشمس" وايزيس "القمر" لأنهما من أصنامهم فلعله يشير إلى هذا مع إرادة معنى العز والمنعة

(٧) "ظليل الحضارة" مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون في ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الإقامة في الحضر والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البدو والبادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار قال القطامي

يُؤَسَّسُ فِي الأرض للغابرينَ ويغرِسُ للآخرين الثَّمر ١

وراعك ما راعَ مِنْ خَيْلِ قَمْبيزَ   تَرمـي سَـنابكُها بالشَّـرَر ٢
جَـوَارفُ بالنَّـار تغْـزُو الـبلا   دَ وآونـةً بالقَنـا المشْـتَجِر
وَأبصَـرْت إِسـكَنْدراً في المَـلاَ   قَشـيبَ العـلاَ في الشَّـبابِ النَّضـر ١

فمن تكن الحضارة أعجبته   فأي رجال بادية ترانا
وقال المتنبي
حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفي البداوة حسن غير مجلوب
ولكن الحضارة هنا بمعنى التمدين

(١) "للغبرين" الغابر من الاضداد فيكون بمعني الباقي ويكون بمعنى الماضي ومن ثم يكون معنى البيت أما أن فرعون يخلد ذكر الماضين بإقامة الآثار لهم والتمثيل ويغرس للآتين ما يجنون ثمره دور العلم والعرفان وما إليها وأما أن فرعون يؤسس للآتين ويغرس لهم كل ما يجدي ويثمر

(٢) "قمبيز" هو ابن كورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس العظيمة ومعلوم أن الفرس من الدول الذي عزت مصر واستولت عليها حيناً من الدهر قال المؤرخون أخذ الفرس في غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين ولى الملك "أبسمتيك الثالث" أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم "قمبيز" بجيش جرار لفتح البلاد التي طالما شرهت نفس أبيه كورش العظيم إلى اخضاعها وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة. يقول مؤرخو الإغريق أن أحد الجنود اليونانية هو الذي خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهم الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة "بلوز" "الفرمان" بحراً وزحفت الجنود الفارسية على مصر براً وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيراً وكان ذلك سنة **٥٢٥** قبل الميلاد. ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم دياناتهم وتقليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهياكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة **٥٢١**

ولما ولي ملك فارس دارا الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلاً عظيماً للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيراً من المدارس وفتح الخليج الموصل ما بين النيل والبحر الأحمر ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة "مرتون" في حربه مع الإغريق فخرجوا عن طاعته وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة **٤٨٦** ق.م ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون منة **٤٠٥** ق.م

تَـــبلَّجَ في مِصْـــرَ إكليلـــهُ فَلـم يَعْـدُ في المُلْـك عُمْـرَ الزَّهَـر
وَشـاهدتَ قيصـرَ كيـفَ اسـتَبدْ دَ، وكيـــف أذلَّ بمصـــرَ القَصَـــرْ ٢
وكيـــــف تَجبَّـــــرَ أعوانُــــــه وســاقوا الخلائــقَ سَــوْقَ الحُمــرُ
وكيف ابتُلُوا بقليل العديدِ من الفاتحين كريم النَّفرَ

---

(١) "اسكندر" هو الإسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم قال المؤرخون بعد أن هزم الإسكندر الفرس في واقعة اسوس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة وبذلك تم استيلاؤه على الشام ثم قدم إلى مصر وكان الفرس قد استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع الإسكندر فلما وصل الإسكندر إلى "بلوز" "الفرمان" سنة ٣٣٢ ق.م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت مصر أبوابها ودخلها دون عناء حتى أن الوالي الفارسي لم يجرؤ على مقاومته وقابله في منف بترحاب ومن ثم سار الإسكندر إلى الواحة الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الإغريقية فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية ولما رأى الإسكندر أن قرية "راقوده" وهي قرية صغيرة

كانت بقرب الإسكندرية – ذات موقع بحري موفق أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الإسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للإسكندرية في مصر خرج إلى فتوحاته الأخرى في المشرق وكانت وفاته سنة ٣٢٣ وكان عمره إذ ذاك ٣٢ سنة ونيفاً ولم يقم بمصر كما ترى إلا قليلاً فذلك حيث يقول في البيت التالي "فلم يعد في الملك عمر الزهر" وخلف الإسكندر على مصر البطالة وما زالوا بها إلى أن استولى الرومان عليها "أكليلة" تاجه

(٢) قيصر أسلفنا أن قيصر هذا لقب ملوك الرومان قال المؤرخون ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الأرض حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين دولة البطالة في مصر ولبثت بين الدولتين مدة طويلة من أيام مجد البطالة إلى انقراضهم تطورت أثناءها في عدة أطوار: ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالة ثم انتقلت إلى حمايتهم لهم ثم السيطرة عليهم ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق.م. في عهد أغسطس ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها في عهد خمول سياسي طويل امتد نحواً من ٦٧ سنة لم يكن لها فيه شيء يذكر في التاريخ بل كانت كحقل لإنتاج الحبوب وتصديرها إلى رومية لسد أهم جزء من الخراج وما زال الرومان بمصر حتى أدال الله منهم بالعرب سنة ٦٤١ على يد عمرو بن العاص فذلك حيث يقول "وكيف ابتلوا بقليل العديد الخ" القصر أي الأعناق قال الشاعر

لا تدلك الشمس إلا حذو منكبه في حومة تحتها الهامات والقصر

رمـى تاج قيصـر رمـي الزجـا ج، وفـل الجمـوع وثـل السـرر ١
فـدع كـلَّ طاغيـةٍ للزمـا نِ فـإن الزمـانَ يُقـيم الصَّـعَر ٢
رأيـتَ الـديانات في نَظْمِهـا وحـينَ وَهَـي سـلكُها وانتشـر ٣
تشـاد البيـوتُ لهـا كـالبرو جِ إذا أخَـذَ الطَّـرْفُ فيهـا انحسَـر ٤
تَلاَقَـى أساسـاً وشُـمَّ الجبـا لِ كمـا تتلاقـى أصـولُ الشـجر ٥
وإيـزيسُ خَلْـف مقاصـيرها تَخَطَّـى الملـوكُ إليهـا السُّـتُرُ ٦

---

(١) رمى أي هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل الجموع. هزمها. وثل السرر كسرها والسرر جمع سرير والمراد بها هنا العروش التي يجلس عليها القياصرة

(٢) "الصعر" ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين وقد صعر خده أمله من الكبر قال المتلمس

وكنا إذا الجبار صعر خدهأقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر يعدل الطغاة يقال أقمت الشيء فقام أي استقام

(٣) "في نظمها وحين وهي سلكها" في حالتي قوتها وضعفها

(٤) "انحسر" كل والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر

(٥) "تلاقى" تتلاقى بحذف إحدى التاءين يريد أنها راسخة رسوخ الجبال

(٦) "إيزيس" هي من معبودات قدماء المصريين وهي أخت أوزيريس وزوجته في الوقت نفسه وأم هوروس وهاربوقراط – يرى قدماء المصريين أن إيزيس هذه وليت أمر مصر مع أخيها وزوجها أوزيريس حينا من الدهر ازدهرت فيه الزراعة ويؤخذ من تقاليد إيزيس أنها عندهم رمز للقمر وأوزيريس رمز للشمس ومن هنا يريد بإيزيس القمر وقوله تخطى أي تتخطى بحذف إحدى التاءين وقوله تضيء على صفحات السماء أي إيزيس بمعنى قمر السماء الحقيقي وقوله وتشرق في الأرض منها الحجر أي القمر بمعنى المعبود في الأرض وعلى ذلك يكون في الكلام استخدام وهو عند علماء البيان أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر أو يراد بأحد ضميرين أحدهما ثم بالآخر الآخر فالأول كقول معوذ الحكماء

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فإنه أراد بالسماء الغيث وبضميره النبت. والثاني كقول البحتري

فسقى الغضا والساكنيه وإن همو شبوه بين جوانح وقلوب

فإنه أراد بضمير الغضا في قوله والساكنيه المكان وفي قوله شبوه أي أوقدوه الشجر "الحجر" جمع حجرة كغرفة وغرف

تضيءُ على صفحات السما ... ءِ وتُشرِقُ الأرض منها الحُجر
وآبيسُ في نِيرِه العالَمو ... نَ، وبعضُ العقائدِ نِيرٌ عَسِرْ ١
تُساس به معضِلات الأمو ... رِ، ويُرْجَى النعيمُ وتُخشى سَقَر
ولا يَشعُرُ القوم إلاَّ به ... ولو أخَذَتْهُ المُدى ما شَعَر
يَقِلُّ أبو المِسْكِ عَبْداً له ... وَإن صاغَ أحمدُ فيهِ الدُّرَر ٢
وآنستَ موسى وتابوتَه ... ونُورَ العَصا والوصايا الغُرَر ٣
وعيسى يَلُمُّ رِداءَ الحيا ... ءِ ومريمُ تَجْمع ذيلَ الخَفَر ٤
وعْمرٌو يسوقُ بِمصرَ الصَّحا ... بَ ويُزْجِي الكتابَ ويحدو السُّور ٥
فكيف رَأيتَ الهُدَى والضلا ... لَ ودُنيا الملوكِ وأُخرى عُمَر ١؟

---

(١) "وآبيس" هو العجل أبيس، رووا أن تيفون إله الشر تغلب أخيراً على أوزيريس إله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقى وكانوا يعتقدون أن العجل الذي تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من الشمس وشعاع من القمر وله علامات ظاهرة في جسده فإنه يكون أسود اللون وفي جبهته سمة بيضاء مربعة أو مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه وكان الكهنة عندما يجدون العجل بعد موت سلفه يركبون مركبة حربية ويسيرون به باحتفال عظيم إلى هليوبوليس وكانوا يضعونه فيها في هيكل يتركونه مفتوحاً للعبادة أربعين يوماً وكان الأهالي عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد ويضعونه في ناووس ثمين جداً وكانوا يقومون بالاحتفال بأيامه المقدسة كل سنة عند إرتفاع النيل وذلك بإقامة الولائم والأفراح وكانوا يطرحون في ذلك الوقت إناء من الذهب في النيل لإخماد غضب التماسيح "في نيره" النير هو الخشبة المعترضة على عنق الثور المقرونين للحراسة بآذانهما وهم يقولون فلان تحت نير فلان يريدون الخضوع والاستخذاء

(٢) "أبو المسك" كافور الإخشيدي "أحمد" أبو الطيب المتنبي

(٣) وتابوته ونور العصا والوصايا الغرر – التابوت الذي وضع فيه موسى وقذف به في النيل وعصا موسى وما كان منها من الآيات والوصايا العشر – كل أولئك معروف فلا حاجه بنا إلى الإضافة فيه

(4) وعيسى يلم رداء الحياة – يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياة ومثله في ذلك العذراء

(١) وعمرو. يقول وقد رأيت عمرو بن العاص إذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويزجي كتاب الله وآياته

ونَبْـذَ المُقَـوقِس عَهْـدَ الفُجـو　　رِ وأخْـذَ المقـوقس عهـدَ الفَجَـر ٢

وتَبْديلـــه ظلمـــات الضـــلا　　لِ بِصُـــبح الهدايـــة لمـــا سَـــفَر ٣

وتأليفَـــه القِـــبطَ والمســـلمي　　نَ كمـــا أُلّفَـــتْ بالـــولاء الأُسَـــر ٤

أبا الهـــول: لـــو لم تكـــن آيـــةً　　لكـــان وفَـــاؤُكَ إحـــدى العِـــبَر ٥

أطلـــتَ علـــى الهـــرمَين الوقـــو　　فَ كَثاكلـــــةٍ لا تَـــــريم الحفـــــر ٦

وتُرَجّـــــى لبانيهـــــا عـــــودةً　　وكيـــف يَعـــودُ الـــرميم النخِـــر ٧؟

تَجـــوس بِعـــينٍ خِـــلالَ الـــديا　　رِ وَتَرمِـــي بأخـــرى فَضـــاء النَّهَـــر ٨

تـــرومُ بِمَنْفـــيسَ بِـــيضَ الظبـــا　　وَسُمْـــرَ القَنـــا والخَمـــيسَ الـــدَّثر ١

---

(٢) فكيف رأيت. يقول خبرني يا أبا الهول كيف رأيت فرق ما بين هدى المسلمين وأخرى عمر أي دنياه التي كأنها الأخرى في الصلاح وما إليه من كل ما كان مائلاً أيام الفاروق ﷺ وأرضاه. وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن إليهم

(٣) "المقوقس" هو. سيروس. بطريق الطائفة الملكانية بالإسكندرية والحاكم الإداري بمصر من قبل الرومان والذي فتح عمرو بن العاص في عهده وفي المقريزي أنه يسمى المقوقس ابن قرقفت. ولعله محرف عن سيروس "عهد الفجور" عهد الانحراف من الصراط السوى عهد الإسراف في المعاصي والآثام. عهد الرومان الذي استبدل به المقوقس عهد الفجر أي عهد الخير العميم، عهد النور، عهد التقى والإصلاح، عهد الإسلام. إذ ملأ المسلمين وعبد لهم طريق الفتح

(٤) "وتبديله" في معني البيت الذي قبله "لما سفر" سفر الصبح وأسفر أضاء

(٥) "وتأليفه" أي المقوقس "الأسر" جمع الأسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون

(٦) إحدى العبر.إحدى الآيات

(٧) أطلت الخ. بيان لوفاء أبي الهول كثاكلة. يقول إنك في إطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزايله فالثكلة هي التي فقدت ولدها ولا تريم أي لا تبرح والحفر جمع حفرة وهي ما يحفر في الأرض والمراد بها هنا القبر

(٨) "لبانيها" أي لباني الهرمين

(1) "تجوس" تطوف وتتخلل "النهر" النهر والنهر واحد الأنهار يعني نهر النيل

ومهــد العلــوم الخطــيرَ الجــلا لِ وعهــدَ الفنُــون الجليــلَ الْخَطَــر

فــلا تســتبين سِــوى قريــةٍ أجَـــدَّ محاســَنَها مـــا انـــدثر ٢

---

(٢) "ترمي" تنشد وتطلب "بمنفيس" منف – وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة – هي عاصمة ملك الفراعنة والذي بناها هو مينا مؤسس الأسر المالكة وكانت كما قال شاعرنا مهد العلوم الخطير الحلال وعهد الفنون الجليل الخطر ولا يخفي ما في هذا البيت من العكس والعكس هذا من المحسنات البديعة وهو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت مثل قول الحماسي

فرد شعورهن السود بيضاء ورد وجوههن البيض سودا

وقول أبي الطيب:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقول الآخر:

إن الليالي للأنام مناهل تطوي وتنشر دونها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

"الخميس الدثر" الجيش الكثير – يقول أنك يا أبا الهول لأوفى الأوفياء إذ كأني بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة والمدنية الزاهية التي تمليت بها حيناً من الدهر وشاهدت عصرها الذهبي ثم ذهبت وذهب أهلوها وصبحت منفرداً وحيداً

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأبى عليك وفاؤك إلا أن تطيل الوقوف على الهرمين شأن الثكول فقدت وحيدها فأبى عليها وجدها أن تريم قبره وكأنك في وقوفك هذا ترجي لباني الهرمين عودة تعود معها تلك المعاني الساميات، وتنشد بمنفيس وهي منك عن كثب عهد القوة والعظمة والسلطان وعهد العلوم والعرفان وعهد الفنون والخطير الجلال مما رأيت في الزمن الخالي فلا تصيب شيئاً من ذلك ولا تقع عينك من منفيس هذه إلا على قرية قد اندثرت ودمنة قد عفت تكاد لإغراقها في الجمود إذا الأرض دارت لها لم تدر فترى في هذه الأبيات صورة أبي الهول في وقوفه هذا صورة شعرية آية في الإبداع والتخيل الشعري ثم ترى وصف عظمة المصريين وإن مصر كانت مهد الحضارة والتمدين ولا جرم فقد أمها وجاوز فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين وفيثاغورس وأفلاطون وإقليدس من شيوخ الفلسفة كما نؤم اليوم بلاد المغرب للمجارة فيها والإفادة منها ومن هنا قال بعد ذلك فهل من يبلغ عنا الأصول

(١) "أجد محاسنها ما اندثر" يقول إن طاولها الدوراس ورسومها المندثرة البوالي أجدت محاسنها وهو معنى دقيق عجيب ولعله ينظر إلى قول أبي نواس

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم

تجافى البلا عنهن حتى كأنما لبسن على الإقواء ثوب نعيم

تكـــاد لإغراقِهـــا في الجمـــو   دِ إذا الأرض دارت بهـــا لم تَـــدُرْ

فهـل مـنْ يُبلـغُ عنَّـا الأصـو   لَ بأن الفـروعَ اقتـدت بالسـير[1]؟

وأنا خَطبنـــا حســـانَ العُـــلا   وســـقنا لهـــا الغـــاليَ المـــدَّخَر

وأنا ركِبنـــا غمـــار الأُمـــو   رِ وأنَّا نزَلنـــــا إلى المـــــؤتَمر[2]

بكـــل مُبـــينٍ شـــديد اللـــدا   د وكـــلَّ أريـــبٍ بعيـــد النظـــر[3]

تُطالـــب بالحـــق في أُمَّـــةٍ   جَـرى دمُهـا دونـه وانْتَشـر[4]

وَلم تفتخـــر بأســـاطيلها   ولكـــن بِدسْـــتورها تَفتخـــر[5]

فَلم يَبقَ غيرُك من لم يخِفْفَ وَلم يَبقَ غيرُك من لم يَطر

تحـرَّك أبا الهَـول هـذا الزمـا   نُ تحـركَ مـا فيـه، حـتى الحَجـر؟

على قبر نابليون

هذه القصيدة إحدى عدة قصائد نظمها الشاعر في منفاه

هذا ويجوز أن يكون أجد مبتدأ وما اندثر خبر أي أن أجد ما في هذه القرية وأجله هو آثارها الدوارس

(٢) "الأصول" أصولنا وآباؤنا الذين وصف "الفروع" نحن المصريين أبناء هذا الجيل "اقتدت بالسير" فحذت حذو أصولها إذ كان منا في هذه الآونة ما قصه بعد

(٣) "غمار الأمور" شدائدها جمع غمرة "المؤتمر" مؤتمر الصلح الذي عقد على أثر انتهاء الحرب الأوروبية العامة سنة ١٩٢٠ الذي فزعنا إليه في شخص الوفد المصري

(٤) الشديد اللداد أي الشديد الخصومة والجدل الذي لا يغلب والأريب العاقل البعيد النظر

(٥) "تطالب" أي الفروع "دونه" دون هذا الحق

(٦) "ولم تفتخر" أي أنها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش وأسطول وما إلى ذلك ولكنها تعتز بحقها الطبيعي الذي ليس إلا به كيانها

قِـفْ عَلَـى كَنْـزٍ ببـاريسَ دفـينْ مـــن فريـــدٍ في المعـــالي وثَمـــين

وافتقِــدْ جــوهرةً مــن شــرفٍ صَـــدَفُ الـــدهر بِتربيْهــا ضـــنين[١]

قـد تـوارتْ في الثـرى حـتى إذا قـــدُمَ العهـــدُ تـــوارت في الســـنين

غُرَّبَـتْ حـتى إذا مـا استيأسـتْ دنـــتِ الـــدارُ ولكـــن لاتَ حـــين

لم تُــذِبْ نارُ الــوغى ياقوتَهــا وأذابتْـــــه تبـــــاريح الحنـــــين[٢]

لا تلوموهــا، أليســـتْ حــرةً وهَـــوى الأوطـــانِ للأَحـــرارِ ديـــن؟

غيَّبَــت باريــسُ ذخــراً ومضــى تُرْبُهــا الِقــيّمُ بالحــرْزِ الحصـــين[٣]

نَـزلَ الأرضَ ولكــن بعــد مــا نـــزلَ التـــاريخ قـــبرَ النـــابغين

أعظُــمُ الليــثِ تلقَّاهــا الشَّـرَى ورُفــاتُ النَّســرِ حازتْــه الوكـــون[٤]

وحَــوى الغِمــدُ بقــايا صــارمٍ لم تُقلَّـــبْ مثلَـــهُ أيـــدي القُيـــون[٥]

شــيَّدَ النــاسُ عليــه وبنــوْا حـــائط الشـــكِّ علـــى أُسِّ اليقـــين[٦]

لســتَ تُحصِــي حولــه ألْوِيــةً أُسِـــــرتْ أمـــــسِ ورايات سُـــــبِين[٧]

---

(١) الترب اللدة والنظير والتثنية هنا في معنى الأفراد

(٢) تباريح الشوق توهجه على أنه جمع لا مفرد له أو هو جمع تبريح

(٣) الحرز الموضع الحصين

(٤) الشرى مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل. والوكون جمع وكن وهو عش الطائر في جبل أو جدار

(5) الصارم السيف القاطع والقيون جمع قين وهو صانع الحديد. والشرى والوكون والغمد كلها في هذين البيتين كنايات عن باريس

(1) حائط الشك كناية عن القبر وأس اليقين هو الموت الذي يتمثل فيما يضمه القبر من رفات

(٢) يشير إلى تلك الأعلام التي غنمها نابليون في حروبه. ثم وضعت على قبره رمزاً لما نال في هذه الحروب من نصر وتوفيق

نام عنهــا وهــي في سُــدَّتِه دَيْــدُبانٌ ســاهِرُ الجَفْــنِ أمــين
وكــأيٍّ مــن عــدوٍّ كاشِــحٍ لــك بالأمــس هــو اليــوم خــدين ١
وولِيٍّ كــان يســقيك الهــوى عســلاً قــد بات يسـقيك الــوزين ٢
فــإذا اســتكرمْتَ وُدّاً فــاتَّهِم جــوهرُ الــوُدَّ وإن صــحَّ ظنــين ٣
مَرْمَــرٌ أُضْــجِعَ في مَسْــنونِه ٤ حَجــرُ الأرضِ وضِــرْغامُ العــرين ٥
جلَّلَتْــهُ هيْبَــة الثــاوي ٦ بــه رَوْعــةَ الحكمــةِ في الشِّــعر الرصــين
هــل درَى المرمــرُ مــاذا تحتــه مــن قُــوىَ نفــسٍ ومــن خلْــقٍ متــين؟
أيُّهــا الغــالون ٧ في أجْــداثهم ابحثــوا في الأرض: هــل عيســى دفــين؟
يمَّحِــي المْيْــتُ ويبلَــى رمسُــه ويَغُــولُ الرَّبْــعَ مــا غــالَ القطــين ٨
حصِــنّوا مـا شـئتُمو مَوْتاكمـو! هــل وراءَ المــوتِ مــن حصــنٍ حصــين؟
لــيس في قــبرٍ وإن نالَ السُّــها مــا يزيــد الميْــتَ وزناً ويَــرين ٩
فــانزِل التــاريخَ قــبراً أو فــنْم في الثــرى غُفــلاً كــبعضِ الهامــدين ١٠

---

(٣) العدو الكاشح هو الباطن العداوة والخدين هو الصاحب والحبيب
(٤) الوزين حب الحنظل المطحون
(٥) الظنين المتهم
(٦) المرمر المسنون المصقول
(٧) حجر الأرض كناية عن محورها والمراد به نابليون والضرغام الأسد
(٨) الثاوي المقيم
(٩) الغالون جمع غال وهو المسرف
(١٠) يمحي أي يزول والرمس القبر والقطين السكان
(١) السها كوكب من بنات نعش الصغرى يضرب به المثل في السمو والارتفاع
(٢) غفلا أي مجهولاً

واخدعِ الأحْياءَ ما شئْت فلن تجِـــدَ التـــاريخَ في المنخـــدعِين!
يا عِصاميًّا حَوَى المجدَ سوَى فَضْـلةٍ قـد قُسَّـمت في المُعـرقين١
أمُّك النفسُ قديماً أكرَمت وأبـوكَ الفضْـلُ خـيرُ المنجبـين٢
نَسَبُ البدرِ أو الشمسِ– إذا جـــئَ بالآباءِ – مغمـــورٌ رهـــين
وأُصولُ الخمرِ ما أزكى على خُبْـثِ مـا قـدْ فعلـتْ بالشـاربين
لا يَقُولنَّ امرؤ أصلي، فما أصلهُ مسْكٌ وأصلُ الناس طين!
قـد تتوَّجْـتَ فقالـتْ أمَـمٌ: ولـــدُ الثـــورةِ عـــقَّ الثـــائِرين
وتزوَّجـتَ فقـالوا: مـا لَـه ولحورٍ من بنات المُلك عين٣؟
قسماً لو قَدروا ما احتشموا لا يَعِـــفُّ النـــاسُ إلا عـــاجزين
أرأيـــتَ الخـــيرَ وافَى أمَّـــةً لم ينـــالوا حظَّهـــمْ في النـــابغين
يصـلُحُ المُلـكُ عَلَى طائفـةٍ هـم جمـالُ الأرض حينـاً بعـد حـين
مـلأوا الـدنيا، عَلَى قِلَّتهم وقـــديماً مُلئَـــتْ بالمرسَـــلين
يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلعوا وبهـــم يـــزداُد حســـناً آفلـــين٤
قـد أقـاموا قُـدوةً صـالحةً ومضْـــوا أمثلـــةً للمحتَـــذِين
إنما الأسوةُ – والدنيا أُسًى – ســـببُ العُمـــرانِ نظـــمُ العـــالمين٥

---

(٣) الفضلة البقية من كل شيء والمعرق العريق في الأصل
(٤) أكرمت أي ولدت كراماً
(٥) يشير إلى زواجه من ماري لويز ابنة إمبراطور النمسا
(1) أفول النجم غروبه والمراد به هنا الموت
(٢) الأسوة القدوة وجمعها أسى

يا صريعَ الموتِ نَدمانَ البِلَى		كـلُّ حـيٍّ بالـذي ذُقـتَ رَهـين[1]
كـدتَ مـن قتـلِ المنـايا خـبرةً		تعلَـمُ الآجـالَ أيان تحـين[2]
يا مُبيـدَ الأسـدِ في آجامهـا		هـل أبادتْ خيلـكَ الـدودَ المهـين؟
يا عزيـزَ السـجنِ بالبـابا إلى		كـم تـردَّى في الثـرى ذُلَّ السـجين[3]؟
ربَّ يـومٍ لـك جَلَّـى وانثـنى		سـائلَ الغُـرَّةِ ممسـوحَ الجبـين[4]
أحـرزَ الغايـةَ نصـراً غاليـاً		لفرنسـا وحَـوى الفـتحَ الثمـين
قيصـرَا الأنسـابِ فيـه نازَلا		قيْصـرَ الـنفسِ عصـامَ المـالكين[5]
مُجلـسَ التـاجِ عَلَـى مفرقـهِ		بيديْـه لا بأيـدي المُجلسـين[6]
حـولَ (أسـترْليزَ) كـان الملتقَـى		واصـطدام النَّسـر بالمستنسِـرين[7]
وُضِـع الشِّـطرنْجُ فاسـتقبلْتهُ		ببنـانٍ عابـثٍ باللاعبـين
فـإذا المَلْكـان هـذا خاضِـعٌ		لـك في الجمْـعِ وهـذا مُسـتكين[8]

---

(٣) الندمان النديم على الشراب وندمان البلى كناية عن الميت

(٤) يشير إلى قول نابليون: "إن الرصاصة التي تخترق هذا الصدر لم تخلق بعد". ويقول إنك لكثرة ما اختبرت المنايا بقتل أعدائك أصبحت تعرف متى تحين الآجال

(٥) يشير إلى ما فعل نابليون بالبابا

(٦) جلى سبق، والغرة في جبين الفرس بياض، ومسح الجبين عادة لسواس الخيل يأتونها بعد سبق جيادهم في حلبة الرهان. ولا يخفي ما في البيت كله من مراعاة النظير

(٧) يريد بقيصرى الأنساب ملكي الروس والنمسا وقد ولدا للملك والسلطان. وقيصر النفس نابليون وهو الذي سودته نفسه ولم تسوده الأنساب

(٨) الإشارة إلى نابليون. يشير إلى أنه هو الذي توج نفسه بيده يوم قدم إليه التاج، ولم يرد لأحد ممن قدموه له حقاً في هذا العمل

(١) استرليتز موقعة من المواقع التي انتصر فيها نابليون

(٢) الملك بتسكين اللام هو الملك

صِدْتَ شاهَ الرُّوسِ والنمسا معاً   مــن رأى شــاهَيْنِ صــيدا في كمــين؟

يا مُلَقَّـــي النصـــرِ في أحلامِـــه   أيـن مـن وادي الكـرى: سـنتهلين[١]؟

يا مُنيــلَ التــاجِ في المهــدِ ابنَــه   مـا الـذي غـرَّكَ بالغيـبِ الجنـين[٢]؟

اتَّئِـــــدْ في أمـــــةٍ أرْهَقْتَهـــــا   إنهـا كالنــاسِ مــن مــاءٍ وطــين

أتعَبَ الـريحَ مَـدَى مـا سَـلكتْ   مـن سُـهولٍ وأجـازتْ مـن حُـزون[٣]

مــــن أديمٍ يهـــرأ الـــدبَّ إلى   فَلَـواتٍ تُنضِـجُ الضـبَّ الكنـين[٤]

لـــك في كـــلِّ مُغـــارٍ غـــارُه   وعليهــا الــدمعُ فيــه والأنــين[٥]

ومـــن المكـــرِ تغنّيـــكَ بهـــا   هـل يزكّـى الـذَّبحَ غـيرُ الـذابحين[٦]؟

سُــخِّرَ النــاسُ وإن لم يشــعروا   لقـــــويٍّ أو غـــــنيٍّ أو مُبـــــين

والجماعـــاتُ ثنـــايا المرتَقِـــي   في المعـــالي وجُســـورُ العـــابرين

يا خطيبَ الدهرِ هل مال البِلَى   بلســـانٍ كـــان ميـــزانَ الشُّـــئون؟

تـــرْجَحُ الســـلمُ إذا حرَّكتَـــه   كِفَّـــةً أو تـــرجَحُ الحـــربُ الزبـــون

خُطَـــبٌ لا صـــوتَ إلا دونَهـــا   في صـــداها الخيـــلُ تجـــري والســـنين

من قصيرِ اللفظِ في مكرِ النُّهى   وطويـــلِ الـــرُّمحِ في كيـــد الـــوتين

---

(٣) سانت هيلين الجزيرة التي نفي إليها نابليون

(٤) يشير إلى قول نابليون يوم بشر بولي عهده أو كما سماه " ملك رومة" – المستقبل لي

(٥) الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض

(٦) الأديم هنا سطح الأرض وهرأ اللحم أنضجه والكنين المستور في جحره

(٧) المغار الغارة على الأعداء والغار ورق الكروم قد كان يتخذ منه اكليل للفاتح المنصور عند القدماء

(٨) التزكية المدح، والذبح ما يذبح

غـــــيرَ وضَّــــاعٍ ولا واشٍ ولا مُنكَـــرِ القـــولِ ولا لَغــو اليمــين
سِـــرْنَ أمثـــالاً فلـــو لم يُحيــهِ ســـيفُهُ أحْيينَـــه في الغــابرين[1]
قـمْ إلى الأهـرام واخشعْ واطَّرِحْ خيْلـةَ الصِـيّد وزهــوَ الفـاتحين[2]
وتمهَّـــلْ إنمـــا تمشــــي إلى حَــرَمِ الــدهرِ ومحــراب القــرون
هـو كالصـخرةِ عنـد القـبط أو كـالحطيم الطُّهـر عنـد المسـلمين
وتســنَّم مِنــبراً مـــن حَجَــرٍ لم يكـــنْ قبلَـــكَ حـــظَّ الخــاطبين
وادْعَ أجيـالاً تولَّـتْ يَسْمعـوا لــك وابعـــثْ في الأوالي حاشـــرين
وأعـــدْها كلمـــاتٍ أربعـــاً[3] قــد أحاطــتْ بالقــرون الأربعــين
ألهبــتْ خـيْلاً وحضَّــت فيْلقــاً وأحالـــتْ عســـلاً صـــابَ المَنـــون
قـد عَرضتَ الـدهَر والجيشَ معاً غايـــة قصَّــــرَ عنهـــا الفـــاتحون
مــا علمنــا قائــداً في مَــوْطِنٍ صَـفَحَ[4] الـدهرَ وصـفَّ الـدارعين
فـــترى الأحيـــاء في مُعـــترَكٍ وتـــرى المــوْتى علــيهم مُشــرِفين
عظـــةٌ قـــومي بهـــا أوْلى وإن بَعُـــدَ العهـــدُ، فهـــل يعتـــبرون؟
هــــذه الأهــــرامُ تاريخهمــــو كيــف مــن تاريخهــم لا يســتحون!
يا كثـيرَ الصَّـيْدِ للصَّـيد العُـلا قــم تأمَّــل كيــف صــادتْكَ المنــون

---

(١) الغابر الماضي والآتي من أسماء الاضداد
(٢) الصيد الملوك
(٣) يشير إلى تلك الجملة المشهورة التي قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل "أيها الجنود: إن أربعين قرناً ننظر إليكم من قمة الأهرام"
(٤) صفح الكتاب قلب صفحاته

قــم تــرَ الــدنيا كمــا غادرْتهــا		منـــزِلَ الغـــدرِ ومـــاءَ الخـــادعين

وتـــر الحـــقَّ عزيـــزاً في القنـــا		هيِّنـــاً في العُـــزَّل المستضـــعَفين[1]

وتـــرَ الأمـــرَ يـــداً فـــوق يـــدٍ		وتـــــرَ النـــــاسَ ذئاباً وضِـــــئين[2]

وتـــرَ العـــزَّ لســـيف نَـــزِقٍ		في بنـــاءِ الملْـــكِ أو رأى رزيـــن

ســـننٌ كانـــت، ونظْـــمٌ لم يـــزلْ		وفســـادٌ فـــوق باعِ المصـــلحين

(١) القنا جمع قناة وهي الرمح

(٢) الضئين الغنم

بين الحجاب والسفور

في فجر النهضة المصرية انبعثت للسفور دعاية ضعيفة قوبلت بكثير من التجريح والتشهير. فنظم الشاعر هذه القصيدة مناجاة لطائر مغلول ضمتها رأيه في النزاع القائم بين أنصار الحجاب ودعاة السفور. نظمت في سنة ١٩٠٨

صـــدَّاحُ يا ملـــك الكنـــا ... رِ ويا أمـــــيرَ البُلبـــــل [١]

قـــد فـــزتُ منـــك (بمعبـــدٍ) ... ورُزقـــتُ قـــربَ (الموصِـــلي) [٢]

وأُتـــــيحَ لي (داودُ) مِـــــز ... مـــاراً وحســـنَ ترتـــل [٣]

فـــوق الأســـرةِ والمنـــا ... بـــر قـــطُ لم تترجَّـــل [٤]

تهتـــــز كالـــــدينار في ... مُـــرتجِّ لحـــظِ الأحـــوال [٥]

وإذا خطـــرتَ علـــى المـــلا ... عـــبِ لم تـــدع لممثـــل [٦]

ولـــك ابتـــداءات (الفـــرز ... دق) في مقـــاطع (جِـــرول) [١]

---

(١) الصداح الصياح الرفيع الصوت. الكنار والكناري طائر حسن الصوت ريشه أبيض يضرب إلى الصفرة وقوادم جناحيه طويلة إلى الخضرة وينسب إلى جزائر كناريا وهي الجزائر الخالدات. البلبل طائر صغير سريع الحركة يضرب به المثل في طلاقة اللسان

(٢) معبد مغن مشهور كان أيام الدولة الأموية والموصلي يطلق على إسحاق الموصل وابنه إبراهيم وكانا مغنيين وكان لهما مع ذلك فقه وأدب

(٣) داود النبي ومزاميره ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد

(٤) الترجل أن ينزل المرء عن ركوبته ويمشي

(٥) الأحوال من في عينه حول

(٦) لم تدع لممثل أي لم تترك له ما يجيده من التمثيل والغناء لأنك أجود صوتاً وفناً من كل مغن وممثل

ولقــد تخــذتَ مــن الضُّــحى صُـــفرَ الغَلائـــل والحلـــي[2]
ورويــــتَ في بــــيض القــــلا نــسِ عــن عــذارى الهيكَــل[3]
يا ليـــت شـــعريَ يا أســـيرُ شـــجٍ فـــؤادُك أم خَـــل؟[4]
وحليـــــفُ ســــهدٍ أم تنــــا مُ الليـــلَ حـــتى يَنجلـــي؟[5]
بالـــرغم مـــني مـــا تعـــا لجُ في النُّحــــاس المقفَـــل[6]
حِرصــي عليــك هــوىً، ومــن يُحـــــرِزِ ثمينـــــاً يبخــــل
والشــــحُّ تُحدثُــــه الضـــرو رةُ في الجـــــوادِ المُجـــــزِل[7]
أنا إن جعلتُــــــكَ في نُضــــا رٍ وبالحريــــــرِ مُجلّــــــل[8]
ولففتُـــــــه في سَوْسَــــــنٍ وخففتُـــــــه بقَرَنفُــــــل[9]

---

(١) الفرزدق لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور كان في صدر الدولة الأموية وجرول اسم الخطيئة وهو شاعر أدرك الجاهلية والإسلام. والابتداءات أوائل القصائد والمقاطع جمع مقطع وهو آخر بيت من القصيدة
(٢) الغلال واحدتها غلالة بكسر الغين وهي شعار يلبس تحت الثوب يشير بهذا المجاز إلى أن طائره الصداح أصفر اللون
(٣) القلانس جمع قلنسوه نوع من لباس الرأس. العذارى جمع عذراء وهي البكر. الهيكل معناه هنا الموضع في صدر الكنيسة يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى، وفي هذا البيت أنواع من المجاز ثم كناية عن المعنى المقصود وهو يريد أن طائره أبيض الرأس كأنه يلبس قلنسوة بيضاء كالعذارى الراهبات المنقطعات لخدمة الهيكل
(٤) الشجي المشغول والخلى والخالي من الهم
(٥) الحليف كل شيء لزم شيئاً آخر فلم يفارقه السهد الأرق وعدم النوم. يتخلى يمضي
(6) ما تعالج أي ما تزاول وتمارس والمراد بالنحاس المقفل القفص الذي حبس فيه الطائر
(٧) الجواد الكريم. المجزل المكثر من العطاء
(٨) النضار الذهب. المجلل المغطى
(٩) السوسن بفتح السين الأولى وضمها نبات طيب الرائحة

وحرقــتُ أزكــى العــودِ حــو　　لَيـــه وأغلـــى الصَّـــندل

وحملتُـــــه فـــــوقَ العيـــــو　　نِ وفـــوق رأس الجـــدول ١

ودعـــوتُ كـــل أغـــرَّ في　　مُلـــك الطيـــورِ محجَّـــل

فأتتـــك بـــين مُطـــارحٍ　　ومحبِّـــــذٍ ومـــــدلَّل ٢

وأمـــرت بابـــني فالتقـــا　　كَ بوجهـــه المتهلِّـــل ٣

بيمينـــــه فـــــالوذَجٌ　　لم يُهـــدَ (للمتوكـــل) ٤

وزُجاجـــةٌ مـــن فضـــة　　مملـــوءةٌ مـــن سَلســـل ٥

ما كنتُ يا (صداحُ) عندكَ بالكريم المُفْضِل

شُـــهْدُ الحيـــاةِ مشـــوبةٌ　　بالـــرق مثـــلُ الحنظـــل ٦

والقيـــدُ لـــو كـــان الجمـــا　　نَ منظمـــاً لم يُحمَـــل ٧

يا طـــيرُ لـــولا أن يقـــو　　لـــوا جُـــنَّ قلـــتُ تعقـــل

اسمـــع فـــربَّ مفصَّـــل　　لـــك لم يفـــدك كمجمِـــل

صـــبراً لمـــا تشـــقى بـــه　　أو مـــا بـــدا لـــك فافعـــل

---

(١) العيون هنا عيون الماء الجدول النهر الصغير

(٢) المدلل بفتح اللام المرفه

(٣) المتهلل المتلألئ

(٤) الفالوذج حلواء من دقيق وعسل وماء. المتوكل أحد الخلفاء العباسيين

(٥) السلسل الخمر اللينة

(٦) الشهد بضم الشين وفتح الهاء جمع شهدة كغرفة وغرف هي العسل

(٧) الجمان اللؤلؤ

أنت ابنُ رأي للطبيعة فيك غير مبدَّل

أبـــــداً مــــــروعٌ بالإِســـــا ... رِ مهـــــــدَّدٌ بالمقتـــــــل ١
إِن طــــرتَ عــــن كنفــــي وقعــــتَ علــــى النســــور الجهَّـــــل ٢
يا طــــــيرُ والأمثـــــالُ تضــــــربُ للبيـــــبِ الأمثـــــل ٣
دنيـــــاك مــــن عاداتِهــــا ... ألاَّ تكـــــونَ لأعـــــزل ٤

أو للغبي وإِن تعْلَل بالزمان المقبل

جُعِلــــت لحــــر يُبتَلـــى ... في ذي الحيــــاةِ ويبتَلـــــى
يَرْمِــــي ويُرمَــــى في جهـــا ... دِ العــــيشِ غــــيرَ مغفَّــــل
مســــتجمعٍ كالليـــثِ إِن ... يُجهـــل عليـــه يَجهـــل ٥
أسمعـــت بالحكَمَـــيْن في ال ... إِســــلام يــــوم (الجَنــــدلِ) ٦
في الفتنـــة الكُـــبرى ولـــو ... لا حكمــــــةٌ لم تُشـــــعَل ٧
رضــــي الصــــحابةُ يــــوم ذ ... لــــك بالكتـــاب المُنـــزل ١

(١) الاسار الأسر
(٢) الكنف الجانب والناحية
(٣) الأمثل الأفضل
(٤) الأعزل من لا سلاح عنده
(٥) المستجمع من يبذل غاية إمكانه. يجهل عليه يتسافه عليه
(٦) الحكمان هما أبو موسى الأشعري ارتضاه الإمام علي حكماً له وعمرو ابن العاص اختاره معاوية حكماً له وقصة هذا التحكيم مشهورة، يوم الجندل هو أحد أيام الحرب بين علي ومعاوية والجندل اسم مكان
(٧) ولولا حكمة أي ولولا حكمة أرادها الله تعالى لم تشعل تلك الفتنة

وهـــم المصـــابيحُ الـــروا ةُ عـــن النـــبي المرسَـــل

قالوا الكتابُ وقام كُلْلُ مفَسِّر ومؤوَّل

حـــتى إِذا وســـعت (معـــا ويـــةً) وضـــاق بهـــا (علـــي)[2]

رجَعـــوا لظلـــم كالطبـــا ئـــعِ في النفـــوس مؤصَّـــل

نزلـــوا علـــى حكـــمِ القـــو يّ وعنـــد رأي الأحيَـــل[3]

صـــدَّاح حـــقٌ مـــا أقـــو ل حفِلـــــتَ أم لم تحفـــل

جـــاورتَ أنـــدى روضـــةٍ وحللـــتَ أكـــرم منـــزل

بين الحفاوةِ من (حُسين) والرعايةِ من (علي)

وحنانِ (آمنةٍ) كأمك في صباكَ الأول[4]

صـــحْ بالصـــباح وبشـــر ال أبنـــــاء بالمســـــتقبل

واســـأل لمصَـــر عنايـــةً تأتي وتهـــبط مـــن عَـــل

قـــل ربَّنـــا افـــتح رحمـــةً والخـــيرَ منـــك فأرســـل

أدرك كنانَتك الكريمةَ ربنا وتقبل

---

(١) رضى الصحابة الخ وذلك أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الهزيمة ستكون لهم رفعوا المصاحف على أطراف الأسنة ونادوا عليا وأصحابه أن ينزلوا وإياهم على كتاب الله فأمر علي أصحابه أن يكفوا عن الحرب

(٢) حتى إذا وسعت معاوية أي حتى إذا وسعت ولاية الأمر معاوية بسبب

(٣) الاحيل الأكثر حيلة

(٤) حسين وعلي وآمنة وأبناؤه

رومة

نظمت هذه القصيدة في فاتحة سنة ١٩٠٠ على إثر زيارته لهذه المدينة

قف بروما وشاهد الأمرَ واشهد ... أن للملـــكِ مالكـــاً ســـبحانهْ
دولـةٌ في الثَّـرى وأنقـاضُ مُلـكٍ ... هـــدمَ الـــدهر في العَـــلاَ بنيانـــه ١
مَزقـت تاجَـه الخطـوبُ وألقـت ... في الـــتراب الـــذي أرى صـــولجَانَه ٢
طلـلٌ عنـد دمنـةٍ عنـد رسـمٍ ... ككتـــاب محـــا الـــبِلاَ عُنوانَـــه ٣
وتماثيــــلُ كالحقـــائقِ تـــزدا ... دُ وضـــوحاً علـــى المـــدى وإبانَـــه ٤
من رآها يقولُ هذي ملوكُ الدهرِ، هذا وقارُهم والرزانَه ٥
وبقـــايا هياكــــلٍ وقصـــورٍ ... بـين أخـذ البِلـى ودَفـعِ المتانَـه ٦
عبـثَ الـدهرُ بالحـواريِّ فيهـا ... و"بيليـــوسَ" لم يَهـــب أرجوانَـــه ٧

---

(١) الثرى التراب. الأنقاض جمع نقض بضم النون وهو ما انتقض من البنيان. العلا الرفعة والشرف
(٢) الصولجان هو المحجن وهو عصا منعطفة الرأس
(٣) الطلل ما شخص من آثار الديار. الدمنة آثار الديار أيضاً. الرسم ما كان لاحقاً بالأرض من آثار الدار
(٤) تماثيل جمع تمثال بكسر التاء. الإبانة الإيضاح
(٥) الوقار والرزانة بمعنى واحد وهو الحلم والعظمة
(٦) هياكل جمع هيكل وهو هنا إما البناء المرتفع وإما بيت الأصنام
(٧) الحواري الناصر والناصح أيضاً. بليوس هو بليوس قيصر أحد قياصرة الرومان الأقدمين. الأرجوان صبغ أحمر وقيل هو الحمرة من الألوان والمراد به هنا الدم لحمرته كناية عن القوة التي يستحل صاحبها سفك الدماء

وجـرت هـا هنـا أمـورٌ كبـارٌ　　واصـلَ الـدهرُ بعـدها جَريَانَـه

رُاح ديـنٌ وجـاء ديـنٌ وولَّى　　ملـكُ قـومٍ وحـلَّ ملـكٌ مكانَـه ١

والـذي حصَّـلَ المجـدون إهـرا　　قُ دمـاءٍ خليقـةٍ بالصـيانَه ٢

ليـتَ شـعري إلامَ يقتتـل النـا　　سُ عَلَـى ذي الدَّنِيَّـةِ الفتانَـه ٣

عـالَمٌ قُلَّـبٌ وأحـلامُ خَلـقٍ　　تتبـارى غبـاوةً وفطانـة ٤

رومة الزَّهوِ في الشرائعِ، والحكمةِ في الحُكم، والهوى والمجانَه ٥

والتَّنـاهي فمـا تعـدَّي عزيـزاً　　فيـكِ عـزٌّ ولا مَهينـاً مَهانَـه ٦

مـا لحـيٍّ لم يُمـس منـكِ قبيـلٌ　　أو بـلادٌ يعـدها أوطانَـه ٧

يصبحُ الناسُ فيك مولىً وعبداً　　ويـرى عبـدُكِ الـورى غِلمانـه ٨

---

(١) راح دين ذهب وهو دين الرومان قبل النصرانية وجاء دين وهو النصرانية. وولى ملك الرومان الأقدمين وحل مكانه ملك الغالبين بعد ذلك التاريخ

(٢) والذي حصل المجدون الخ أي أن أولئك الذين سعوا بالحرب والقتال ليحلوا في رومة ديناً بدل دين ويقيموا ملكا جديداً على أنقاض ملك ذاهب لم يجنوا من ذلك كله ثمرة إلا إراقة دماء البشر التي تستحق الصيانة والحفظ

(٣) المدنية الفتانة هي الدنيا

(٤) القلب بتشديد اللام المحتال

(٥) الزهو المنظر الحسن والكبر التيه والفخر. المجانة الهزل

(٦) التناهي بلوغ النهاية. فما تعدى عزيزاً الخ أي أنك بلغت النهاية في كل شيء فمن كان فيك عزيزاً لم يفته شيء من أسباب العز ومن كان مهيناً لم يفته شيء من موجبات المهانة

(٧) أي لم يكن لغير أهلك عشيرة يعبرون بها ولا بلاد يتخذونها وطناً يلجئون إليه لأنك أسقطت العشائر والعصبيات وغلبت الجميع على أوطانهم

(٨) يصبح الناس فيك الخ يعني أن أهلك كانوا سادة وعبيداً وكان للعبيد على الأجانب عز السادة وسلطانهم

أينَ مُلكٌ في الشرقِ والغربِ عالٍ تحسُد الشمسُ في الضُّحى سلطانه؟ ١

قــادرٌ يمســخُ الممالــكَ أعمــا لاً ويعطـــي وســـيعَها أعوانَـــه ٢

أيـــن مـــالٌ جَبيتـــهِ ورعـــايا كلّهـــم خـــازنٌ وأنـــتِ الخزانـــة؟ ٣

أين أشرافُكِ الذين طغَوا في الدهرِ حتى أذاقَهم طُغيانه؟ ٤

أيْـنَ قاضـيكِ؟ مـا أناخَ عليـه؟ أيـنَ ناديـكِ؟ مـا دهـا شِـيخانه؟ ٥

قــد رأينــا عليــكِ آثارَ حــزنٍ ومــن الــدور مــا تَــرى أحزانَــه

اقصِري واسألي عن الدهر مصراً هــل قضــت مــرتين منــه اللّبانَــه ٦

إن مـــن فـــرَّقَ العبــادَ شُــعوباً جعـــلَ القِســـط بينهـــا ميزانَـــه ٧

هَبْـكِ أفنَيـتِ بالحـدادِ الليـالي لــن تَــردى عَلَــى الــورَى رومانَــه ٨

---

(٩) سلطانه قوته

(١) قادر وصف للملك في البيت المتقدم. يمسخ الممالك أعمالا أي يحولها أعمالا والأعمال ما يكون من البلاد تحت حكم المملكة ومضافا إليها

(٢) جبينه جمعته

(٣) الأشراف جمع شريف وكانت في رومة لعهدها القديم طائفة الأشراف تسودت على من عداها ونشأ بذلك في الشعب فريقان منفصلان هما فريق السادة المسيطرين وفريق العامة المسخرين

(٤) أين ناديك المراد به دار ندوة الرومان وكانت هي ما نسميه الآن في النظم الدستورية مجلس الشيوخ، ما دهى ما أصاب. شيخانه جمع شيخ وهو الرجل تتألف منه ومن سواه جماعة المجلس

(٥) اقصري أي انتهي عند هذا الحد وامسكي عن الاسترسال. اللبانة الحاجة

(٦) القسط العدل

(٧) هبك اسم فعل أي افرضي أنك أفنيت الخ

بنك مصر

ألقيت هذه القصيدة بدار الأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠ احتفالاً بإنشاء بنك مصر

قِفْ بالممالكِ وانظرْ دولَةَ المالِ ... واذكرْ رجالاً أدالوها بإجمالِ
وانقلْ ركابَ القوافي في جوانبِها ... لا في جوانب رسم المنزلِ البالي
ما هيكلُ الهرَم الجيزيّ من ذهبٍ ... في العين أزين من بنيانِها الحالي
علا بها الحرصُ أركاناً وأخرجَها ... عَلَى مِثالٍ من الدنيا ومِنوال
فيها الشقاء لقومٍ والنعيمُ لهم ... وبؤسُ ساعٍ ونُعمَى قاعدٍ سال
والمالُ مُذْ كان تمثالٌ يُطافُ به ... والناسُ مذ خُلِقوا عبادُ تمثال
إذا جفا الدورَ فانعِ النازلين بها ... أو الممالكَ فاندبْها كأطلال
يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً ... خُذْها من العلم أو خُذْها من المال
بالعلمِ والمالِ يبني الناسُ مُلكَهمُ ... لم يُبنَ ملك عَلَى جَهْلٍ وإقلال
سُراةَ مصرَ عهدناكم إذا بُسطتْ ... يدُ الدعاءِ سراعاً غيرَ بُخال
تبينَ الصدقُ من مينِ الأمور لكم ... فامضوا إلى الماء لا تَلوُوا على الآل[1]
لا يذهب الدهرُ بين الترهاتِ بكم ... وبين زهرٍ من الأحلام قتَّال
هاتوا الرجالَ وهاتوا المالَ واحتشدوا ... رأياً لرأيٍ ومثقالاً لمثقال
هذا هو الحجَرُ الدرِّيُّ بينكمو ... فابنوا بِناءَ قريشٍ بيتَها العالي

---

(١) الآل السراب

دارٌ إِذا نزلــتْ فيهــا ودائعكـــم   أودعـتم الحـبّ أرضـاً ذاتَ إِغـلال
آمـالُ مصـرَ إِليهـا طالمـا طمحـتْ   هـل تبخلـونَ عَلَـى مصـرٍ بآمـال؟
فـابنوا عَلَـى بركـاتِ اللهِ واغتنمـوا   مــا هيــأ الله مـــن حـــظٍّ وإِقبـــال

الفهرس